

الإخوان المسلمون  
لمحة تاريخية عن المراحل  
التي مرت بها جماعة الإخوان المسلمين

بقلم

الأستاذ محمد فريد عبد الخالق

# الإخوان المسلمون

## لمحة تاريخية عن المراحل

### التي مرت بها جماعة الإخوان المسلمين

بقلم

الأستاذ محمد فريد عبد الخالق

#### مقدمة :

يعلم كاتب هذا البحث أن المحور الأساسي الذي تدور حوله موضوعات هذه الندوة ، هو اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر ، بيد أن الإمام بفكر الإخوان المسلمين ، موضوع البحث ، لا يتأتى عرضه على وجه مقبول دون تناول للخلفية التاريخية لجماعة الإخوان المسلمين منذ نشأة الحركة ، والمراحل التي مرت بها ، وما اشتملت عليه من أحداث لها دلالتها وأهميتها الخاصة بالنسبة لها .

وأما عن الجانب الفكري وهو العنصر الأساسي الذي استهدفته ، حتى من خلال التناول التاريخي الوجيز ، فضلا عن إقرار فصول نوعية له ، فقد كان الخيط الذي حرصت على ألا ينقطع أو يضيع من خلال رحلتي مع الكتابة ، ليس إلزاما فقط بخط الندوة وموضوعها ، ولكن إيمانا مني كذلك بأن محنة العمل الإسلامي في هذه الآونة بصفة خاصة ، هي محنة فكر قبل أن تكون محنة سلوك حركة وابتلاء عملي ، وإن حفل بها تاريخ الحركات الإسلامية في مختلف الأقطار العربية والإسلامية في هذا القرن ، وتجاوزت الكيد لها من الداخل والخارج ، وللعاملين فيها ، إلى أن تكون واحدا من أهم الموضوعات التي تشغل بال الغرب والشرق على السواء ، والتي توضع لها مخططات ذات صفة دولية ، وتوضع عنها دراسات تفصيلية وتحليلية وتنبيئية ، ربما بأكثر مما يقوم به نحوها أصحاب الشأن أنفسهم ، وهم المسلمون المعاصرون ، وذلك لأن قومة الإسلام من جديد تعني الكثير بالنسبة للغرب والشرق معا ، وتعتبر تحديا حضاريا على المدى البعيد ، وقلبا لموازن القوى الدولية المتعارف عليها في هذا العصر ، وتهديدا مقلقا لأطماع الدول الكبرى ومصالحهم الحيوية في بلاد العالم الثالث بعامه ، وفي البلاد العربية والإسلامية بخاصة .

ولا يزال ميدان الفكر هو الميدان الأصيل الذي تدور فيه رحى المعارك الرهيبة ، في السر والعلن ، بين الإسلام وأعدائه ، في القديم والحديث .

ولقد جاءت خطة البحث مشتملة على أربعة فصول :

أولها : لمحة تاريخية عن المراحل التي مرت بها الجماعة .

ثانيها : عناصر رئيسة في الموضوع تناولت العقيدة والسياسة والتربية والمعاملات والاجتماع والاقتصاد ، في فكر الإخوان ومنهجهم .

ثالثها : مستقبل الدعوة الإسلامية .

رابعها : موقف فكر الإخوان المسلمين من الحضارة الحديثة .

\* \* \*

وأما عن الخلفية التاريخية للجماعة والحركة فقد قسمتها إلى ثلاثة مباحث أختص كل منها بمرحلة :

### المرحلة الأولى :

وهي مرحلة « النشأة والتأسيس » وعمرها واحد وعشرون عاما ، تبدأ منذ أسس « حسن البنا » المرشد العام الأول للإخوان المسلمين ، أول نواة لجماعته بمدينة الإسماعيلية في مارس ١٩٢٨م حتى وقوع جريمة اغتياله في فبراير ١٩٤٩م ، إثر حل الحكومة آنذاك للجماعة واعتقال أفرادها .

ويجد القارئ في هذا الفصل نبذة عن الرجل الذي أنشأ الجماعة ، وعن الإخوان المسلمين في هذه المرحلة ، إبان وجود الجماعة في مقر نشأتها بالإسماعيلية ، ثم خلال انتقالها إلى القاهرة ، وقد غطت الدراسة فترتين أساسيتين ، هما فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية والفترة التي تلت ذلك .

وفكر « حسن البنا » ومنهج حركته متلازمان في كل الأطوار التي مرت بها الجماعة عبر هذه الفترة ، لأن الرجل قد تميّز في دعوته بالاتجاه العملي لا النظري كما تميّز بتحديد الأهداف والوسائل ، بحيث لا يصعب على الباحث أن يكتشف العلاقة القوية والمتعمقة بين الهدف الذي يعمل له ، والوسيلة التي يتخذها للوصول إليه ، وأن يجد عنصر الاتساق والوحدة بين الخطوات التي اتخذها ، والوسائل التي استخدمها ، والأفكار التي ينادي بها ، عنصرا فاعلا قائما مميزا للدعوة والحركة ، وأن يقف على حقيقة كبيرة في فكر البنا ومنهجه هو أنه يصدر في كل أمر دعوته عن أصل واحد ترسخ في عقله وقلبه ونضحت به كل تصرفاته العامة والخاصة ، هو الأخذ عن الكتاب والسنة ، أخذا واعيا مستنيرا ، وأخذا عمليا واقعيا ، وأخذا امتزجت فيه التربية الصوفية

السليمة بالوجهة العملية الحركية ، وبالقدرة العقلية ، والكفاءة القيادية فجاء تكوينه فريدا في نوعه حقا . فهو المربي الصوفي لأتباعه ، وهو المنظم لحركته وأجهزة دعوته ، وهو السياسي الذي أدرك كل ما يدور على مسرح السياسة في مصر وفي خارج مصر على السواء ، وعرف خصومه وأحجامهم وأدوارهم التي يؤدونها ، وامتزج بشعب مصر ، فلاحين وعمال وطلاب علم وموظفين ومهنيين ، فمد جذور الدعوة في أعماق هذا الشعب ، وفي كل موقع من أرض مصر ، بل وفي البلاد العربية من حول مصر ، وهو الداعية الذي يملك بكلماته أزمة القلوب ويأسر الأرواح لأنه كان يصلها بأصول الفطرة ، ويحركها بقوة العقيدة ، ويملؤها بالأمل في مواجهة موجات اليأس من اصلاح الفساد ، ويحيلها إلى سنن الله التي لا تتبدل في تغيير الأحوال وأن نقطة البدء هي في تغيير ما بالنفس ، فالتغيير الذي يريده كل غيور على مصلحة بلده لا يتحقق إلا إذا غيرنا ما بأنفسنا ، وإن الوسيلة المثلى لبلوغ ذلك كله أسلوب التربية الإسلامية التي تصوغ الفرد صياغة إيمانية جديدة ، عقيدة ، وسلوكا ، وإرادة ، وتحوله إلى رجل عقيدة ومبدأ ، وتسلكه في جماعة من أمثاله ، يعملون معا متآخين في الله ، ويربطهم نظام يجعل عملهم مثمرا ، يدعون إلى الله على بصيرة ، وأمرهم شورى بينهم ، تلك هي جماعة الإخوان المسلمين .

وتعددت وسائل التربية حتى انتظمت توعية العقول ، وتقوية العقيدة ، وتكوين الأجساد السليمة ، وتدريب الارادة والعزيمة ، من جولة إلى معسكرات إلى أسر وكتائب إلى رياضة في أندية ورحلات فكان الشباب يجد فيها ما يشبع تطلعاته ، ويرضي رغباته ، ويصون عقله ووجدانه ، ويعصم من آفات المجتمع روحه وفكره ووقته ، وكان هذا الأسلوب المتميز في مدرسة هذا الداعية الفذ ، أسلوب عملي هدفه تكوين الرجال ، وبناء أسر صالحة منهم ، ونواة مجتمع إسلامي نظيف لا تزال تتسع قاعدته في هذا المجتمع الذي خالطه الفساد ، ولحق بناءه الوهن ، وذبلت فيه المعاني السامية والمباديء الأصيلة والأخلاق الرفيعة التي جاء بها الإسلام ، حتى تملك التأثير في سواده من الناس الذين يرون فيهم قدوة صالحة ونماذج كريمة ، فينخرطون معهم في حمل أمانة الإسلام والنزول على أحكام شرعه ، واتخاذ منهجا للحياة في كل مجالاتها . ولا يعرف تاريخ كبار الدعاة إلى الله في هذا القرن وفي قرون سبقت من ييز حسن البنا في هذا المضمار حيث أوضح مفاهيم الإسلام ، ومبادئه ، وعقيدته ، وأحكامه بهذا الشمول وهذا الجلاء ، في الوقت الذي رنى مئات الآلاف من الرجال والنساء تربية إسلامية ترجم فيها الأقوال إلى أفعال ، والنظرية إلى واقع عملي ، وقاد الجماعة في مضمار الاصلاح الاجتماعي والاقتصادي وسلك بهم وبالأمة معهم مسالك الوطنية المؤمنة التي حازت الاستعمار بكل قوة ، وحاربت الصهاينة في فلسطين ، وسجل تاريخ الجماعة فدائية المجاهدين في أشرف معارك البطولة في أكثر من موقع ، ونجح في أن تصبح جماعة الإخوان المسلمين بتيارها الإسلامي ووعيا السياسي ومواقفها العملية خلال الفترة الوجيزة التي عاشها أكبر قوة إسلامية وسياسية في مصر ، رجحت قوتها قوة الأحزاب السياسية ، وعمزت الحكومات عن

احتوائها أو إضعافها ، حتى هددت وجود الاستعمار ومصالحه في المنطقة كلها فلم يجدوا من طريق للخلاص منه إلا باغتياله على يد السلطة العميلة ، وقد فارق الدنيا عن اثنين وأربعين عاما من عمره ودعوته في ملايين القلوب في مصر وسائر البلاد العربية والإسلامية وفي العالم الخارجي ، ولا تزال الشجرة المباركة التي وضع بذرتها ، وأعطاهها عمره كله وما يملك ، قائمة على عودها ، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها .

جاء ومفهوم الإسلام قد أصابه الضمور لعوامل شتى وترك الحياة وقد تردد على ألسنة لا حصر لها شمول مفهوم الإسلام لشؤون المعاش والمعاد جميعا . وحفرت كلماته على جدار التاريخ المعاصر : إن الإسلام دين ودولة وحضارة وأنظمة حياة ، ردها العالم والطالب بل والحاكم ولو في مجال التهجم والخصومة .

بدأ الدعوة واشتغال أهل الدين بالتصوف ، والعلماء بالجدل في الفروع ، فرفض في ميدان العقيدة اشتغال العقل الإسلامي باكتناه الغيبات والجدل ، ودعا إلى مذهب السلف في فهم العقائد وأغلق كل ما عداه من أبواب الخلافات والشقاق ، وحسبنا أن نأخذ القرآن دون تأويلات ومماحكات . وعلم العقيدة عنده ليس سردا نظريا للصفات الإلهية ، كما أن علم الكلام ليس تأريخا لوجهات النظر في شروح العقيدة ، إن السرد والتأريخ لا يضعان الإيمان المنشود ، بل عرض العقيدة على أنها طاقة محركة وقوة دافعة وعلاقة بالله تحت على الجلد وتحمي الحق ، وتورث الإخاء ، وتعد ليوم اللقاء .

وعلى هذه الدعامة نهضت جماعة الإخوان المسلمين ، لا يحسن الشاب الجدل القديم ولكنه يحسن خشية الله والتوكل عليه والغيرة على محارمه ولا يدخل في نزاع حول حقيقة « الجهة » مثلا ، ولكنه بقوله وعمله يفسر الآية الكريمة ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ (سورة فاطر الآية : ١٠) ، وقد حول العقائد من دراسات نظرية تثير الشغب إلى يقين صادق ، وحب لله فيه ، وتوكل على الله واعتزاز به وانتفاء إليه وجهاد في سبيله ، وإحسان للعمل ورؤية حق الله فيه ، وحب ظاهر للنبي ﷺ وإحياء لسنته وتمسك بها .

وكان يكره الاعتداء الطائش ، وتعجل الثمر قبل نضجه ، وينصح المتحمسين بالجام العقل والنفس الطويل ، وكان دائم الحرص على التجميع وإشاعة الود وإيجاد ركائز للإخوة المتبادلة في الله ، ويأبى الانسلاخ عن المجتمع واكفان البغضاء له . إنه يرى عوجه ويجهتد لتقويمه بروح الحب الشفيق ، ولا ييأس من توبة مذنّب ، إن لم يعد إلى الله اليوم فقد يعود غدا .

وكانت خطته لنصرة الإسلام بعيدة الآمد ، فعندما رأى البعض أن يترك كليات التجارة والحقوق وغيرها لتغلغل الغزو الثقافي فيها قال : لمن نترك هذه الكليات المهمة ؟ لأهل الأديان الأخرى والشيوعيين فيهمنوا على التشريع والاقتصاد في أرجاء البلاد . وأمر الإخوان بدخول هذه

الكليات والاستعداد لتحويلها إلى كليات إسلامية التوجه في مستقبل قريب أو بعيد .  
وهذا النظر الدقيق للمصلحة الإسلامية أدى ثماره بسرعة . وقادة الدعوة إلى التشريع  
الإسلامي ، والاقتصاد الإسلامي ، في هذه الأيام ، هم من رجال الحقوق والتجارة .

والزعم بأن اعتزال الأمة ومخاصمتها ، وإعلان الحرب عليها هو طريق اصلاحها زعم خاطئ ،  
فلم يأمر بترك المساجد ، ومقاطعة الجماعات المقامة فيها ، بل على العكس صلى مع الجماهير ، ثم  
شرع في إبداء النصح لهم .

إن الإخوان منذ بدأت مسيرتهم لم يحكموا على المجتمع بالكفر ، أو يعلنوا عليه الحرب ،  
أو يوسعوا الهاوية التي تفصلهم عن الناس ، بل نصحوا وقاربوا وادخروا قواهم لأعداء الله المصارحين  
بالكفر والطغيان .

وإن كان غيره من بعده من الدعاة جاء بفكر آخر في أسلوب الجهاد ، ووصم المجتمع  
بالجاهلية ، وإعلان حرب موصولة ضد الطواغيت ، إن هذا التفكير لم يكن نهج حسن البنا أبداً ،  
ولم يزعم أصحابه أنهم استفوه من تعاليمه أو توجيهاته .

ولا تزال الأيام تثبت أن نظر الإمام الشهيد كان أصوب وأهدى وقد طالب بإعادة الحياة  
إلى الشريعة الإسلامية . ولا شك أن إصدار حكم على تاركي الشريعة لا يحتاج إلى عبقرية ، بيد  
أن الأمر ليس تكفير أشخاص أو تفسيرهم وإنما الأمر إحياء الفقه الإسلامي المهجور ، وتزويده  
بعناصر القوة ، وتمهيد الطريق أمامه ليعود سيرته الأولى . ودون ذلك عقبات كئود من الاستعمار  
الحاقد وسماسته الضالعين معه . ثم إن ذلك التغيير لا يتم بين عشية وضحاها . وما حققه الاستعمار  
في سنين أو قرون لا يزول في أيام أو أسابيع . وقد حاول بعض نفر من ذوي المشاعر النزقة أن  
يقذفوا الحانات بالحجارة وأن يتناولوا الحكام بالشتائم . فهل أغنى ذلك شيئاً؟! امتلأت السجون  
وأعدم الأبرياء وبقيت القوانين الوضعية !!

إن الإمام الشهيد وضع خطة لتوسيع دائرة الإخوان حتى يتحرك الشارع الإسلامي كله  
ملبياً نداء الإسلام يوم ينادي . فهل يسكت الإخوان إلى أن ينضم الجمهور كله إليهم ؟ لا . بل  
يجب أن يقوموا بأنشطة ثقافية ورياضية واجتماعية واقتصادية لها طابع إسلامي متميز إلى أن يأذن  
الله ويكون من المستطاع التغيير المنشود ويعود الاحترام إلى النصوص المهددة . وهذا ما رسم له  
الأستاذ الإمام شبكة من الشعب يحكمها جهاز إداري وروحي من أدق الأجهزة التي عرفها تاريخ  
الحركات الكبرى ، واهتم بالطلاب والعمال والفلاحين . وفجر في الأمة روح النهضة وذاد عنها  
اليأس من الإصلاح ووهن القعود .

\* \* \*

وتعاقبت حتى اليوم مرحلتان أولاهما عاصرت الإنقلاب العسكري في ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢م ، وواجهت طغيان حكم الفرد ، وحلت الجماعة ، ولفقت التهم ضد الإخوان وأدخلوا السجون والمعتقلات مرتين إحداها في سنة ١٩٥٤م والأخرى في سنة ١٩٦٥م ، وقدمت الدعوة مئات من الشهداء ، فكانت بحق مرحلة صمود في وجه الظلم الوحشي وثبات على الحق لا يتزعزع ، وثانيتها : هي المرحلة الراهنة التي تلت وفاة المرشد العام الأستاذ/ حسن الهضيبي .

\* \* \*

وأما عن الفصول الثلاثة الأخيرة ، فهي دراسة موضوعية لفكر الإخوان المسلمين ومناهجهم في مواجهة تحديات العصر ، وفي عالمنا الحديث الرجوع إليها يغني عن عناء التلخيص .

\* \* \*

والله تعالى أسأل أن يكون من وراء القصد وأن يغفر لي ، ما عسى أن أكون قد وقعت فيه من خطأ أو تقصير في تناول هذا الموضوع الجليل الشأن ، المتعدد الجوانب ، البعيد الأثر ، وما توفيقى إلا بالله ، وهو نعم المولى ونعم النصير ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ..

\* \* \*

أمكن تقسيم المراحل التاريخية التي مرت بها جماعة الإخوان منذ إنشائها في مصر حتى الآن إلى ثلاث مراحل نتناولها هنا في إجمال على النحو التالي :

#### ( المرحلة الاولى ) :

وهي مرحلة « النشأة ووضع الأسس » ، وعمرها الآن واحد وعشرون عاماً ، تبدأ منذ أسس « حسن البنا » المرشد العام للإخوان المسلمين أول نواة لجماعته بمدينة « الإسماعيلية » في مارس سنة ١٩٢٨م حتى وقوع جريمة اغتياله في فبراير ١٩٤٩م ، إثر حل الحكومة للجماعة واعتقال رجالها .

نبذة عن جماعة « الإخوان المسلمين » في هذه المرحلة :

أولاً : بعض خصائص دعوة الإخوان<sup>(١)</sup> :

لعل من صنع الله لدعوة الإخوان أن نبتت في الإسماعيلية ، وأن يكون ذلك على إثر خلاف فقهي بين الأهلين ، وانقسام دام سنوات حول بعض النقاط الفرعية التي أذكى نار الفرقة فيها ذور الأغراض والمطامع ، وأن تصادف نشأتها عهد الصراع القوي العنيف بين الأجنبي المتعصب والوطني المجاهد فكان من أثر هذه الظروف أن تميزت هذه الدعوة بخصائص خالفت فيها كثيراً من الدعوات التي عاصرتها .

ومن هذه الخصائص :

- ١ — البعد عن مواطن الخلاف .
- ٢ — والبعد عن هيمنة الأعيان .
- ٣ — والبعد عن الأحزاب والهيئات .
- ٤ — والعناية بالتكوين والتدرج في الخطوات .
- ٥ — وإيثار الناحية العملية الإنتاجية على الدعاية والإعلانات .
- ٦ — وشدة الإقبال من الشباب .
- ٧ — وسرعة الانتشار في القرى والبلاد .

ثانياً : المراحل التي مرت بها الدعوة منذ انتقالها إلى القاهرة :

وعدها ثلاث مراحل :

( أ ) الفترة التي سبقت الحرب العالمية الثانية ( أي من عام ١٩٣٢ إلى عام ١٩٣٩ م )

ومدتها سبع سنوات انتقل المركز العام خلالها في دور كثيرة ، ومن أنواع النشاط خلالها يحدثنا عنها « حسن البنا » في مذكراته ، أنها كانت تنتظم الأنواع الآتية :

- ١ — المحاضرات والدروس في الدور والمساجد .
- ٢ — إصدار « رسالة المرشد العام » عديدين فقط ، ثم « مجلة الإخوان المسلمين » الأسبوعية أولاً وثانياً ، وفي أثناء ذلك « مجلة النذير » لستين من أول صدورها .
- ٣ — إصدار عدد من الرسائل والنشرات .
- ٤ — إنشاء الشعب في القاهرة ، وزيادة شعب الأقاليم ، ونشر الشعب في الخارج .
- ٥ — تنظيم التشكيلات الكشفية والرياضية .
- ٦ — تركيز الدعوة في الجامعة والمدارس وإنشاء قسم الطلاب والانتفاع بجهود الأزهر الشريف : علمائه وطلابه .



- ٧ — إقامة عدة مؤتمرات دورية للإخوان في القاهرة والأقاليم .
- ٨ — المساهمة في إحياء الأحياء الإسلامية والذكريات المجيدة في القاهرة والأقاليم كذلك .
- ٩ — المساهمة في مناصرة القضايا الإسلامية الوطنية وبخاصة قضية فلسطين .
- ١٠ — تناول الناحية الأخلاقية السياسية والاجتماعية بالبيان والإيضاح والتوجيه وكتابة المذكرات والمقالات والرسائل بهذا الخصوص .
- ١١ — المساهمة في الحركات الإسلامية ، كحركة مقاومة التنصير وحركة تشجيع التعليم الديني .
- ١٢ — مهاجمة الحكومات المقصرة إسلامياً ، ومهاجمة الحزبية ، والدعوة في وضوح إلى المنهاج الإسلامي ، وتأليف اللجان لدراسات فنية في هذه النواحي .

\* \* \*

وكانت هذه المرحلة معنية بالتعريف « بالدعوة » والاهتمام البارز « بالتربية والمنهج » الذي تقوم عليه التربية وإعداد أعضاء الجماعة ، ولقد كتبت في موضوع التربية تحت عنوان في ( سبيل النهوض ) أكثر من مقال جاء فيها : « يجب أن تكون دعامة النهضة « التربية » فتربي الأمة أولاً ، وتفهم حقوقها تماماً ، وتتعلم الوسائل التي تنال بها هذه الحقوق ، وتربي على الإيمان بها . ويث في نفسها هذا الإيمان بقوة ، أو بعبارة أخرى تدرس منهاج نهضتها درساً نظرياً وعملياً وروحياً . وذلك يستدعي وقتاً طويلاً لأنه منهاج دراسة يدرس الأمة فلا بد أن تتذرع الأمة بالصبر والأناة والكفاح الطويل . وكل أمة تحاول تخطي حواجز الطبيعة يكون نصيبها الحرمان .

( ب ) فترة الحرب العالمية الثانية : ما بين عامي ١٩٣٩ — ١٩٤٤ ) :

أرسى الأستاذ المرشد قواعد العمل في هذه المرحلة على الأسس الآتية :

**أولاً :** بدأت هذه المرحلة مع اندلاع الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٣٩ وكان المرشد يرى أن الحرب العالمية سوف تغير وجه العالم ، وتفعل في سنواتها ما لا يتم فعله من تغيير في مئات السنين ، فهي تختصر الزمن .. وعلى العقلاء الانتفاع بهذه الميزة قبل فواتها . ومن هنا فإنه يرى أن المرحلة التي يحتاج الإخوان إلى قطعها في عشرات السنين ، يمكنهم — بالانتفاع بهذه الميزة — أن يقطعوها في سنوات قلائل .

**ثانياً :** أن مواجهة الأعداء والخصوم بهيئة ضعيفة وتكوين هزيل مجازفة غير مأمونة بل إنها قد تؤدي بالفكرة الإسلامية إلى الزوال ، فإذا أضفت إلى ذلك أن هذه المواجهة ستكون

في ظروف استثنائية وكل المرافق مسخرة للمستعمر ، والمستعمر أعصابه على أشدها ، لأنه يخوض حرب حياة أو موت كانت المواجهة انتحاراً لاشك فيه ولا إفلات منه .

ثالثاً : كما أنه يرى أن انشغال المستعمر بالحرب ومن ورائه الحكومة المصرية ، فرصة للعمل للدعوة دون عائق ، وعلى الإخوان في هذه الحالة أن يكشفوا من جهودهم حتى ينجزوا أكبر قدر من العمل في أصغر قدر من الزمن قبل أن تنتهي الحرب فجأة فيتفرغ هؤلاء — المستعمر والحكومة — للكيد للدعوة وبث العراقيل للدعوة قبل أن تكون قد استكملت عناصر قوتها ، وللکید للوطن فلا يحقق الشعب مطالبه القومية لعجزه أمام قوتهم .

رابعاً : أنه يرى أن عناصر القوة التي يجب استكمالها في أقرب وقت هي عنصران : إنشاء الشعب ، والتكوين . أما الأول فهو العمل على أن تصل الفكرة الإسلامية إلى كل فرد في أنحاء مصر ، وأن يصل صداها إلى البلاد العربية والإسلامية وأن يكون للدعوة شعبة في كل حاضرة ومدينة وقرية وعزبة في جميع أنحاء مصر . وأما التكوين فيكون بالعمل على ربط المتتمين إلى الدعوة معاً بروابط من الأخوة والحب والتعاون في ظل أسلوب عملي من التربية البدنية والروحية والثقافية .

خامساً : أنه في سبيل إنجاز هذا العمل الكبير ، يجب على الإخوان — في خلال فترة الحرب أن يعضوا الطرف عن الشؤون السياسية فيتجنبوا اتخاذ مواقف سياسية محددة ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً مكثفين بالتعرض لما سوى ذلك من الشؤون التربوية والاجتماعية والاقتصادية ، وإذا دهمهم موقف سياسي معين فعليهم أن يتفادوه وأن يطوعوه لخدمة هدفهم الكبير .

سادساً : أنه يرى أنه إذا سلك الإخوان هذا المسلك فإنهم سيفاجئون العالم بعد انتهاء الحرب بأقوى هيئة قادرة على المواجهة ، وقادرة على النهوض بأثقل التبعات ، ويستحيل على أية قوة أن تقضي عليها ، لأنها تكون قد تركزت في النفوس ، واختلطت بالمنهج ، وضربت بجذورها في الأعماق .

( ج ) مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية ( ١٩٤٥ — ١٩٤٨ ) :

وهي مرحلة التنفيذ بعد مرحلتَي التعريف والتكوين ، بلغت الدعوة فيها ذروتها قوة وانتشاراً وتعد هذه المرحلة البالغ عمرها أربع سنوات هي آخر فصل في قضية كفاح داعية عصره حسن البنا الإمام الشهيد الذي نذر حياته للدعوة الإسلامية فأرسي على الكتاب والسنة قواعدها ، وغرس بذورها في الأمة ، وأثر في حركة التاريخ الإسلامي أطيب الأثر وأعظمه وكان بحق أخطر داعية عرفه العالم العربي والإسلامي منذ قرون .

كما تعد أخطر مرحلة مرت بها الدعوة والجماعة عبر تاريخها سواء من حيث ضخامة الأحداث التي صنعتها ، أو النتائج التي أسفرت عنها ، وكان لها ما بعدها في تاريخ ومسيرة العمل الإسلامي في مصر وفي غيرها من الأقطار العربية والإسلامية ، نورا على الطريق ودليلا للسالكين فيه .

وتغطيتها في تفصيل وتسلسل تاريخي لأحداثها أمر لا يحتمله هذا المقام . ولعل الوقوف عند نقاط أساسية ومنعطقات بها حاسمة ، هو الشيء الممكن بعد عون الله تعالى : وهذا ما أحاوله فيما يلي :

**أولا :** لما خرجت مصر من هذه الحرب ولا زال في عنقها عبء معاهدة ١٩٣٦ ولا زال الإنجليز يحتلون أرضها ، ووحدة وادي النيل مهددة بالتجزئة ، والقيود والأغلال التي فرضت على تجارتنا وزراعتنا وصناعتنا إبان الحرب وقبل الحرب لا تزال قائمة ، ويزيد بعد ذلك تأمينا لحدودنا الغربية بأن نسلم ليبيا لأهلها العرب الذين جاهدوا في سبيلها عشرات السنين جهاد الأبطال ، وتقوم فيها حكومة عربية مستقلة وتظل وطناً موحداً مستقلاً ، كما نريد أن نؤمن حدودنا الشرقية بحل قضية فلسطين حلاً يحقق وجهة النظر العربية ولا تسلم لليهود ، وهي قضية عربية إسلامية ، ونريد أن نؤمن حدودنا الجنوبية بأن نحفظ حقوقنا في أريتريا ثم زيلع ومصوع وهرر وأعالي النيل التي اغتصبت من جسم الوطن ظلماً وعدواناً ، لتمتد إليها أطماع الاستعمار ويعث بها نفوذه . ونحن لا نطالب باحتلالها ولكننا نطالب بحمايتها من هذه الأطماع وذلك العبث .

كانت كل هذه مطالب في عنق مصر ، وكان الإخوان المسلمون يعتبرون الكفاح من أجلها فريضة واجبة ، فطالبوا بها الحكام ونبهوا إليها وإلى الطريق العملي لتحقيقها ، وأهابوا بالأمة أن تنتهز الفرصة السانحة التي لاتعوض لتحصل على حقوقها ، وقد انتهت هذه الحرب الضروس وخرج منها الحلفاء بنصر لم يكونوا يتوقعونه ، وبذلوا أثناءها الوعود المعسولة برد الحقوق إلى أهلها ، ونادوا بالعهود والمواثيق ، وإن تغافلنا عن واجبنا أخطر علينا من تغافلهم عن حقوقنا .

وكان الإخوان ينظرون إلى الوجه الآخر في الإصلاح الذي لاينفك عن الإصلاح السياسي ذلك هو الإصلاح الاجتماعي وقد استشرت في وطننا عوامل الفساد التي كان أهمها هذا التدخل والتحكم الأجنبي ، ثم هذا الضعف من الحكومات التي سمحت ليد المستعمر أن يتحكم بها في رقاب الناس كما تشاء له أطماعه وخططه .

وفي مثل هذه الساعات الفاصلة يكون الجهاد الوطني فرضاً عينياً على كل الأفراد والهيئات . ونحن حين نطالب بحقنا لانغالي ولا نتعسف ، ولا نريد علواً في الأرض

ولا فساداً ولكننا نفق عند الحق الطبيعي الذي لا يمكن أن يحيا دونه فرد أو شعب  
حياة عزيزة كريمة ..

**ثانياً** : طالب حسن البنا حكومات هذه المرحلة ، كما طالب من سبقهم بهذه المطالب ،  
ولكنه في هذه المرحلة بالذات فصل الأمور ، ووضع في الحساب أن هذه المرحلة  
هي فرصة سانحة ، ومن الإثم إضاعتها ، لتحقيق آمال الشعب ومطالبه الوطنية  
والإصلاحية ، « فالشعب على أتم استعداد للبدل ، ولكن في طريق واضحة مرسومة  
تؤدي إلى الحرية أو الشهادة ، بقيادة حكومة حازمة ترسم له في قوة وإخلاص مراحل  
هذا الطريق . أما إذا استمرت الحكومة في تردها وتراخيها واضطرابها ، فلن يؤدي  
ذلك بالشعب إلا إلى أحد أمرين ، إما أن يثور وإما أن يموت ، وكلاهما جريمة وطنية  
لا يغتفرها أبداً التاريخ »<sup>(٢)</sup> .

**ثالثاً** : أورد هنا شيئاً مما كتبه بعض الصحف مما أرى له دلالة وصلة بالموضوع :

( أ ) ففي ٢ مارس عام ١٩٤٦ كتبت مجلة « ذى تابلت » البريطانية مقالا قالت  
فيه : « إن مصر تتولى الزعامة بين الدول الإسلامية ، والتي فقدتها تركيا بعد  
الحرب الماضية ، وصحف القاهرة تهدد الآن جامعة الأمم البريطانية بجهد ديني ،  
وقد أكد « صدقي » باشا من جديد صداقته مع بريطانيا ، ولكنه مصر على أن  
تنسحب القوات البريطانية فوراً » .

( ب ) كتبت جريدة « التيمس » في عام ١٩٤٨ مقالا هاماً في نسختها الأسبوعية  
عن الروح الوطنية في مصر تناولت فيه التعريف بالجماعة وشأنها جاء فيها : إنهم  
ليسوا سياسيين أو حزباً سياسياً ، ولكنهم وطنيون يعملون لخير مصر واسترداد  
حقوقها المغتصبة . ومع ذلك فإن هذا وصف شامل لجمعية تستحق نشأتها  
وتأثيرها في الحياة المصرية العامة دراسة وبحثاً .. ولما كان « حسن البنا » شديد  
الإيمان بتعاليم الإسلام ، وخطيباً مفوهاً ، فإنه ما لبث أن كسب أتباعاً وأنصاراً  
كثيرين ونفوذاً كبيراً ، وأظهر أنه سياسي بارع ، فقد أصبح للجمعية بفضل إدارته  
الحكيمة فروع في جميع أنحاء مصر ، وبدأت مبادئه تنتشر في البلدان العربية  
المجاورة ، ثم أصدر جريدته اليومية في أوائل ١٩٤٦ . وتتألف هذه الجمعية التي  
يقدر عدد أعضائها ما بين ثلاثمائة ألف ، ستمائة ألف عضو من طبقة العمال ،  
ولكنها تضم عدداً من الطلبة وبعض المثقفين من الطبقة الوسطى ولا سيما  
المعلمين ، ولم تبد طبقة أصحاب الأراضي حماسة كبيرة نحو الإخوان المسلمين  
خوفاً من احتمال ازدياد قوتهم مما يفضي إلى إضعاف سلطة الطبقة العليا على  
الفلاحين .

ويلوح أن لهذه الهيئة طابعاً عسكرياً فأعضاؤها يسرون في طواوير ويتدربون ويظهرون في زي عسكري أمام الجمهور . والهدف الرئيس للهيئة هو العمل على إحياء الإسلام مما قد يفيد حياة الأمة العربية بأسرها ، ولتحقيق هذا الهدف تقضي الضرورة تنشئة جيل جديد يفهم معنى الإسلام ويتبع التعاليم الإسلامية ... وأن مهمة الإخوان المسلمين ليست مهمة سياسية بما في هذه الكلمة من معنى ، ولكنهم يتمسكون بالإصلاح الاجتماعي مما قد يجعلهم قريبين من الشؤون السياسية .

رابعاً : في أواخر عام ١٩٤٤ :

بعد إقالة وزارة الوفد وحل مجلس نوابها ، وتولية وزارة أحمد ماهر الحكم وإعلانها عن إجراء انتخابات ادعت نزاهتها ، قرر الإخوان دخول هذه الانتخابات بترشيح المرشد العام في دائرة الإسماعيلية ، وترشيح عدد آخر من الإخوان في دوائر مختلفة . وقد نعى إلى علم الإخوان أن خطاباً أرسل من السفارة البريطانية إلى « أحمد ماهر » يطلب فيه منه أن يعمل على منع المرشد العام والأستاذ علي البرير ( كان من كبار السودانين الأحرار المقيمين بمصر والمؤمنين بوحدة وادي النيل ) المرشح في دائرة عابدين من التقدم إلى الانتخابات . وطلب « أحمد ماهر » مقابلة المرشد ، فلما قابله طلب منه أن يسحب ترشيحه ، وحاول أن يقنعه فرفض ، فقال له : لماذا تشدد معي وقد قبلت مثل هذا من حكومة « مصطفى النحاس » وتنازلت عن ترشيحك ؟ فرد عليه بقوله : « إن حكومة النحاس باشا كانت تواجه حالة سياسية مضطربة في الداخل والخارج ، ولم يكن هناك بد — إجابة لداعي الوطنية الكريمة — من أن نقبل منها هذا ، إذ كانت الحالة تدعو إلى توحيد الجهود لا إلى توزيعها لوجود الأعداء داخل الأراضي المصرية » .

فلما ووجه القصر والحكومة بإصرار الإخوان على ترشيح مرشدهم في الانتخابات وجدوا أنفسهم أمام أمرين : أحلاهما مر : . ففتح الطريق أمام « حسن البنا » إلى مجلس النواب كارثة حيث نجاحه في هذه الدائرة أمر لا شك فيه .. كما أن منعه من الترشيح يهدم صرح الدعاية الذي شيدوه على أساس من الحرية المطلقة التي ادعوا أنهم جاؤوا ليردوا إلى الشعب ما حرمه الوفد منها . وظلوا في حيرة من أمرهم حتى اهتموا إلى الحل الذي جاء به معدو المسرحية أنفسهم . وبدأ للناس أن الأمور عادية . ولم يكن المرشد في حاجة إلى أي جهد في الدعاية في دائرته فقد كفاه ذلك أهل الإسماعيلية الذين يحبونه ويقدرونه ويعتزون بترشيحه في دائرتهم .

ولما جاء يوم الانتخابات ، فوجئ أهل الإسماعيلية بتدخل الجيش البريطاني في الانتخابات وأحضروا أعداداً كبيرة من العمال الذين يعملون فيه في سياراتهم ، وأدى

هؤلاء العمال التصويت بتذاكر مزورة لانتخاب المرشحين الآخرين . واحتج أهل الاسماعيلية وأهملت السلطات احتجاجهم وانتهى يوم الانتخابات المخزية . وظهرت النتائج بإعادة الانتخابات بين المرشد وبين مرشح آخر .

وحدثت الإعادة فلم تكن معركة انتخابية وإنما كانت حرباً أعلنتها الحكومة المصرية متضامنة مع الجيش البريطاني ضد أهل مدينة الإسماعيلية لإسقاط مرشحهم « حسن البنا » . وكان الإخوان قد تقاطروا من كل الأنحاء في مصر حيث علموا بالنية المبيتة وقد ظهرت للعيان في أول يوم الانتخاب .

ولكن الخطة كانت مرسومة ، والوسائل معدة ، وكان حكمدار محافظة القنال إنجليزيا وشركة قنال السويس مقرها الإسماعيلية ، وقيادة الجيش البريطاني مقرها الإسماعيلية ، وعشرات الآلاف من العمال المصريين في الجيش البريطاني حضروا إلى أرض المعركة ، وأعدوا للتصويت المزور في صناديق الانتخابات نظير أجور مضاعفة ، والسلطة الحكومية متعاونة مع السلطة الإنجليزية في تنفيذ المؤامرة . ولم تستطع الإجراءات القانونية التي كان من المفروض أن تحمي حق المرشح ضد تلاعب السلطة ، أن تؤدي مهمتها . وأعلنت النتيجة بسقوط المرشد العام في الدائرة التي يعلم أهلها ويعلم كل مصري بل والعالم كله أنها مقر داره ولا يتصور أحد أن يخذله في انتخابه عن دائرتهم<sup>(٣)</sup> . وهكذا كان تدخل الإنجليز في أمورنا الداخلية وكان مبلغ حقدهم وكرهيتهم للإخوان المسلمين وتآمرهم على القضاء عليها بكل الوسائل .

#### خامساً : قضية فلسطين :

كانت للقضية الفلسطينية عناية خاصة لدى الإمام البنا ، وكانت له نظرة ثاقبة في موضوع الخطر اليهودي ، وكان الإخوان المسلمون منذ بداية الثورات الفلسطينية عام ١٩٣٦ هم دعاة التحذير والتحرير في العالم العربي ، وكان اتجاه المرشد والجماعة إلى جعلها قضية عالمية تقض مضاجع الإنجليز واليهود ، ودعوا إلى مقاطعة المحلات اليهودية في القاهرة ، وطبعوا المنشورات يهاجمون فيها الإنجليز ويشرحون للناس مظالمهم في فلسطين ، ويبينون فيها خطط اليهود وأطماعهم الواسعة في المنطقة العربية ، ووزعوا كتاب « النار والدمار في فلسطين » الذي وضعته اللجنة العربية العليا لفلسطين وكان الكتاب صاعقة على الإنجليز لما فضحه من فظائعهم وجرائمهم التي يندى لها جبين الإنسانية خجلاً ، وكانوا يظنون أن أمرها سيظل في عزلة عن العالم كله ، ونظموا المظاهرات التي كانت أول تنبيه لأذهان الشعب المصري في القرى والمدن نحو قضية فلسطين .

وقد بدأ الإنجليز منذ ذلك الوقت من الثلاثينيات يهتمون « بحسن البنا » ، ويتبعون حركاته ، ويبيتون له أسوأ النوايا ، وقد أدركوا خطره . لقد رتبوا سياستهم على عزل مصر عن البلاد العربية ، وروجوا لهذه الفكرة في طبقة المثقفين والحكام والزعماء حتى يتمكنوا من تنفيذ سياستهم الاستعمارية في مأمن من أن يقف في وجههم زعيم عربي أو تيار إسلامي ، وكانوا يظنون أن في وسعهم إتمام جريمتهم ببيع فلسطين لليهود وهم في مأمن من أية مقاومة ، ولكن الإخوان المسلمين أفسدوا عليهم خططهم حين نجحوا في جعل قضية فلسطين قضية كل المسلمين ومدوا بذلك أول جسر يربط بين العرب والمسلمين ، وحين أقاموا أول مؤتمر عربي يعقد من أجل فلسطين في دار المركز العام بالعتبة الخضراء آنذاك ، كان له آثار بعيدة لدى الحكومات العربية وشعوبها على السواء ، وصار يتوافد على دار الإخوان كثيرون من زعماء البلاد العربية والإسلامية ، وبرزت روح التضامن بين هذه البلاد التي كانت تعاني كلها من أثقال الاستعمار . وتطور الأمر إلى عقد مؤتمر برلماني عالمي في مصر من أجل فلسطين لأول مرة . وطورت بريطانيا سياستها إزاء هذا التحول المفاجئ لها في القضية ، وعملت على عقد مؤتمر في لندن من أجل فلسطين يضم العرب واليهود وممثلي الحكومة البريطانية ، وأبدت استعداداً للتفاهم ، وأوقفت حملات القتل والسحل والتعذيب التي كانت تقوم بها في فلسطين .

#### سادساً : أحداث سنة ١٩٤٨ أو ذريعة المتآمرين :

كانت هذه السنة هي مسرح الأحداث التي اتخذها المتآمرون ، بهدف إنزال ضربة قاضية بالإخوان المسلمين ومرشدهم ، ذريعة لتنفيذ مؤامرتهم ، ولتسهيل جريمتهم أمام الرأي العام ، ففي مارس ١٩٤٨ اغتيل « الخازندار »<sup>(٤)</sup> . بيد اثنين ممن ينتسبون إلى الإخوان ، وحكم عليهما بالسجن المؤبد في ٢٢ نوفمبر ١٩٤٨ ، وتم هذا الاعتداء بغير علم المرشد ، ومن دون إذنه ، مما أثر فيه تأثيراً بالغاً وحزن له حزناً شديداً ، وقد أثبت التحقيق عدم صلة الجماعة بالحادث ، وفي ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨ اغتيل النقراشي باشا رئيس الحكومة بعد عشرين يوماً من صدور قرار حل الجماعة ، واتهم القاتل بصلته بالجماعة ولكن التحقيق نفى صلة الجماعة بالحادث ، وفي ٢٠ يونيو نسفت بعض المساكن في حارة اليهود في القاهرة وكان ذلك رداً من مرتكبي هذا الحادث على مذبحه دير ياسين التي ارتكبتها اليهود في فلسطين ٩ / ٤ / ١٩٤٨ ، وفي ١٩ يوليو وقع نفس محلي « شيكوريل » و « أوريكو » وكان ذلك رداً من مرتكبي هذا الحادث على إلقاء طائرة إسرائيلية في ١٦ يوليو قذيفة على أحد الأحياء الفقيرة في حي عابدين فهدمت منازل كثيرة وقتلت عدداً من السكان ، وفي ١٢ نوفمبر دمر

انفجار آخر « شركة الإعلانات الشرقية » التي كانت مركز النشاط الصهيوني في ذلك الحين ، وحوادث أخرى ، لم يسفر التحقيق فيها هي الأخرى عن صلة الجماعة أو مرشدها بها .

#### سابعاً : صدور أمر عسكري بحل الجماعة :

وفي ٨ ديسمبر أصدر النفراسي رئيس الحكومة قراراً بحل جماعة الإخوان المسلمين وبناء على أن الجماعة كانت تهدف لقلب نظام الحكم في البلاد ، وسردت المذكرة التفسيرية لهذا القرار وقائع مختلفة أو مبالغاً فيها ، ونسبتها إلى الجماعة تبريراً لاتخاذ قرار الحل الصادر بحقها ، وقد أشرنا إلى بعضها في الفقرة السابقة .

وقد فند المرشد العام للجماعة الأسباب التي استند إليها قرار الحل في رسالة رد فيها على مذكرة وزير الداخلية بحل الإخوان وذلك في ٢٨ / ١٢ / ١٩٤٨ م ، بأن ما ذهب إليه في مذكرته بأن الجماعة قد تجاوزت الأغراض السياسية المشروعة إلى أغراض يحرمها الدستور ، فهدفت إلى تغيير النظم الأساسية للهيئة الاجتماعية بالقوة والإرهاب بقوله : « وهذا القول منقوض من أساسه ، فلم يكن الإجماع يوماً من الأيام من وسائل هيئة الإخوان المسلمين فإن وسائلهم ظاهرة معروفة .. لم تتعارض مع القانون » وأما عن حقيقة الحوادث فقد قال « ويكفي للرد على المذكرة أن القانون حمى هذا النشاط عشرين سنة ولم يستطع أحد الاعتداء عليه إلا في غيبة القانون وفي ظل الأحكام العرفية الاستثنائية » .

وكذلك فعل المرشد بالنسبة للحوادث الأخرى تفصيلاً لها ودحضاً للحجج التي سيقّت بشأنها ، وأنها وإن ثبتت على مرتكبيها فإنه لا يمكن أن تتخذ سبباً لإدانة هيئة الإخوان المسلمين ، أو تنهض دليلاً على أن الإخوان عدلوا عن وسائلهم القانونية إلى وسيلة إجرامية ، وقد حشدت المذكرة هذا الحشد المقصود للتذرع به دون وجه حق إلى هدم بناء إصلاحي ضخّم جنت منه مصر والبلاد العربية والإسلامية أبرك الثمرات ، بل إن الدليل القاطع الدافع ينادي ببراءة الإخوان من هذا الاتهام ، فهذه دورهم وشعبهم وأوراقهم وسجلاتهم ومنشآتهم قد وضعت كلها تحت يد البوليس في جميع أنحاء مصر فلم يعثر في شيء منها على ورقة واحدة تصلح أن تكون دليلاً أو شبه دليل على هذا الانحراف المزعوم ، بل لم تجد الحكومة أمامها إلا المدارس تقدمها لوزارة المعارف والمشافي والمستوصفات تقدمها لوزارة الصحة ، والمصانع والمعامل تقدمها لوزارة التجارة والصناعة . وكفى بهذا شرفاً وإشادة بجهود الإخوان الإسلامية النافعة لهذا الوطن العزيز .



وقد رد على اتهام المذكرة للإخوان : بأنهم اتخذوا أكثر من وسيلة لخوض غمار السياسة وأنهم أرادوا بذلك الوصول إلى الحكم وقلب النظم المقررة في البلاد ، بأن هذا اتهام يعلم الكل بطلانه « وكل ما هناك أن الإخوان كهيئة إسلامية جامعة مزجت الوطنية بروح الدين واستمدت من روح الدين أسمى معاني الوطنية ، ولم تبتدع ذلك ابتداءً .. وإنما هي طبيعة الإسلام الذي جاء للناس ديناً ودولة .. » .

وتناول المرشد في رده فسر كلمة عن الإخوان وفلسطين قال فيها : « ولعل الذي يسر للحكومة سبيل هذا الاتهام وسهله عليها .. هو عمل الإخوان وجهادهم في سبيل فلسطين ، وإن كان هذا العمل من أنصع الصفحات وأمجدها في تاريخ دعوتهم » وبين أن خطوات الإخوان في ذلك كانت بإذن من الجهات المختصة .

ثم تناول تحت عنوان الدوافع الحقيقية في مواقف الحكومة « مستحيل أن يكون الدافع الحقيقي لهذه الخطوة الجريئة من الحكومة مجرد الاشتباه في مقاصد الإخوان أو اعتبارهم مصدر تهديد للأمن والسلام — وهو ما لم يقم عليه دليل ولا برهان — ولكن الدافع الحقيقي فيما نظن هو انتهاز الأجانب فرصة وقوع بعض الحوادث مع اضطرابات السياسة الدولية وقلق المواقف في فلسطين ، وتردد سياسة مصر بين الإقدام والإحجام — فشددوا الضغط على الحكومة . وقد شهد بذلك عمار بك بنفسه ( وكيل وزارة الداخلية ) وأقر بأن سفراء بريطانيا وأمريكا وفرنسا قد اجتمعوا في فايد وكتبوا لدولة النقراشي باشا في صراحة بأنه لا بد من حل الإخوان المسلمين . وكان في وسع دولته أن يزجرهم عن مثل هذا التدخل في شأن داخلي بحت ، وأن ينظرهم حتى تظهر نتيجة التحقيقات ، وأن يتعاون مع الإخوان على إزالة هذا الوهم من أنفسهم ، ولكنه بدلا من ذلك استجاب لهذه الرغبة الأجنبية ، وأصدر قرار الحل فأشمت الأعداء وأحزن المؤمنين الأتقياء .

وهكذا يقيم الشواهد كل يوم على أن مصر للأجانب قبل أن يكون لأهلها منها نصيب وأن قيادة شعبها لآمانع لديها من أن تقدم حرياتها قربانا لإرضاء السفراء ورعايا الدول التي طالما ناصبتنا العدا ، وأنزلت بنا البلاء ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ويكون لما يشاع من قرب الاتفاق بين الحكومة المصرية والحكومة البريطانية أصل في هذه الخطوة أيضاً .. وتكلم بعد ذلك عن التعسف في التنفيذ ، كما قال : « لقد أوقف هذا الحل نهضة اجتماعية كبرى تهيأ لها شعب هذا الجيل من أبناء الوطن ، وأفضل العقائد وترك في النفوس أعماق الآثار . وسيقول التاريخ كلمته ويظهر المستقبل

القريب آيته . ولن تستطيع القوة أن تمحو عقيدة أو تبدل فكرة ﴿ كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ﴾ الرعد : ١٧ ، ﴿ إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ﴾ الأعراف : ١٢٨ .

#### ثامناً : المؤامرة الدولية — « استشهاد حسن البنا » :

كانت الإشارات ، والتعليقات ، والاستفزازات ، والاستعدادات التي ملأت الصحافة الأجنبية من مصادر مختلفة ، وكان عمل العداءات الصليبية اليهودية والاستعمارية أوضح من أن يحتاج اكتشافه إلى ذكاء غير عادي ، كما كان تصاعد عمل الإخوان في القضية الوطنية وقضية فلسطين بصورة قوية وعملية له ردود فعل خطيرة لدى الإنجليز وحلفائهم والصهيونية العالمية ، ولم يكن للإخوان خيار في أداء واجبهم الوطني والإسلامي نحوهما ، وإن كان ذلك قد أدى إلى نتائج بالغة الخطورة ، فقد كان تحرير البلاد من الاستعمار ، وقتال اليهود المحاربين فريضة إسلامية وواجباً قومياً ، وما كان للإخوان أن يتخلوا عن أداء الفرائض والواجبات مهما كلفهم ذلك من ثمن والله خير وأبقى .

ولذلك لم يكن مستغرباً أن تتابع فصول المؤامرة التي شاركت فيها الحكومة الحاكمة ، والملك المارق ، وخططت لها القوى الدولية الطاغية ، للقضاء على جماعة الإخوان واغتيال مرشدهم في محاولة إجرامية للتخلص من هذه القوى التي مزجت بين الدين والسياسة فغيرت بتغلغلها في الشعب المصري ومد خيوطها فكراً وحركة في الدول العربية والإسلامية ، وأصبحت تهدد بضياح مجهودهم عبر أكثر من قرن لإسقاط الخلافة وتمزيق وحدة الأمة الإسلامية بعودتها على يد هذه الدعوة إلى الظهور من جديد في غضون وقت قصير ، كان لابد لهم من ذلك لإنقاذ مصالحهم الاستعمارية التي باتت مهددة في حاضرها ومستقبلها . كان لابد من منطلق مصالحهم الآثمة ، ووفق أساليبهم المتبعة ، من إملاء إرادتهم على السلطة الحاكمة وتنفيذ ما يريدون ، من وضع حد لحياة داعية هذا العصر الإمام « حسن البنا » ، الذي أسس هذه الجماعة العاملة ، وقاد مسيرتها الناجحة ، وغزا بدعوته الحية قلوب الملايين ، ولم تفلح معه أساليب القوى الاستعمارية في صرف أعدائهم عن عدواتهم باستخدام الحيلة أو القوة أو التلويح بالسلطة والجاه ، فقد ثبت لقوى البغي العالمية عجزها عن أن تقف في وجه حرية أو أن تصرفه عن غايته وفكرته ، وإن كان هو لا يضر كراهية لشعب ولا يطالب بأكثر مما هو حق للشعوب في حريتها واحترام مبادئ دينها ومساواتها بغيرها .

فعلى أثر صدور قرار الحكومة الظالم بحل جماعة الإخوان المسلمين ، ومصادرة ممتلكاتهم وإغلاق دورهم ، واعتقال الإخوان ، وحرمان مرشدهم من إجابته إلى طلبه المتكرر باعتقاله مع إخوانه . هيأت الحكومة بأساليبها الدنيئة وأعوانها الأذنياء للجريمة . حتى إذا كان يوم ١٤ ربيع الآخر ١٣٦٨ هـ - ١٢ فبراير ١٩٤٩ م ، فاجأوا ضحيتهم البريئة بإطلاق الرصاص في الطريق العام وتلقاها تلقي البطل الشجاع وحمى نفسه بنفسه منها فلم تنل منه مقتلا ، حتى إذا حملوه إلى المستشفى بعيداً عن أعين الرقباء ، إلا عين الله التي لاتغيب عنها غائبة ، تركوه لينزف دمه الزكي ، حتى فاضت روحه الطاهرة وصعدت إلى ربها راضية مرضية فقد طالما سأل الله تعالى أن يرزقه الشهادة فأعطاه إياها . وأدخل جثمانه الطاهر منزله وسط مظاهرة مسلحة من رجال البوليس شاهرة أسلحتها في وجوه سيدات أسرته الصابرة المؤمنة المحتسبة . فحملن نعشه إلى قبره ولم يسمح لأحد بالسير في جنازته ، ولا بتلاوة القرآن في منزله . ليلحق بركب شهداء الدعوة فيمن سبق وليلحق به بعد من لحق : ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً ﴾ ( سورة الأحزاب : ٢٣ ) رحم الله شهداءنا وألحقنا بهم في الصالحين .

وإن ما خفي من أسرار السياسة الدولية يوماً ما ، لن تلبث الأيام أن تكشف عنه ، والعالم كله يعرف جيداً عن أساليب الإنجليز وحلفائهم ، وعن مكر الصهيونية العالمية وما تمارسه من ضغوط على الدول الكبرى لتنفيذ مصالحها وإن كانت على حساب مصالح شعوب هذه الدول ، وأن الأمور أوضح من أن تحتاج إلى أكثر من إشارة .

ولا شك أن عداوة هذه الدول للإسلام ، ولكل حركة تدعو إلى إحياء دعوته في قلوب المسلمين وإلى العودة إلى الإسلام ، واستعادة الحكم بشريعته وإقامة حضارته ، عداوة يعود ضررها عليهم وعلى الإنسانية أكثر مما يعود ضررها على الإسلام والمسلمين لأنهم يحاربون الله ورسوله فهم في الأذلين ، ونحن ما تمسكنا بديننا وعملنا به في كل أمرنا وابتغيينا وجه الله في دنيانا وآخرتنا فإن العقابة للمتقين ولن يضيع الله عباده المجاهدين ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم \* إن الله بالناس لرؤوف رحيم ﴾ ( البقرة : ١٤٣ ) .

\* \* \*

## ( المرحلة الثانية ) :

وقد رأيت أن أتناولها في قسمين :

( أ ) القسم الأول : وهو فترة ما بين المرحلتين وهي المرحلة التي سبقت اختيار المرشد الجديد :

وتعد مرحلة انتقالية وتقع بين تاريخ استشهاد الإمام « حسن البنا » في ١٢ فبراير ١٩٤٩م وتاريخ اختيار المرشد الجديد الأستاذ « حسن الهضيبي » — رحمهما الله ورضي عنهما — في ١٩ أكتوبر ١٩٥١ ، وتكون مدتها بذلك قرابة عامين . كانت الجماعة خلالها تمر بظروف غير عادية ، إذ كان أعضاء الجماعة وقادتها داخل المعتقلات أو خلف قضبان السجون على ذمة قضايا كثيرة ، وقد تولت مسؤولية القيادة فيها مجموعة من الإخوان الذين لم يعتقلوا ، وكان على رأسهم الأستاذ « أحمد حسن الباقوري » ، وكان ينضم إليهم كل من يفرج عنه من الإخوان ، وكان قرار الحل لازال قائماً . وبرغم الظروف التي كانت تقيد حركة الإخوان فقد أثبتوا وجودهم بعد أن أفرج عن الإخوان ، وعادوا إلى الحياة العامة ، وحين تداعوا إلى تجمع ضخم بلغ بضعة آلاف أخ ، أمام مجلس النواب ، في ١٨ / ٤ / ١٩٥٠ م ، أثناء نظر المجلس مشروع قانون الجمعيات ، الذي رأوا فيه تنافياً مع الحريات العامة وحقوق الأفراد والجماعات في تكوين الجمعيات ، وأذهل تجمعهم أجهزة الأمن ، وكان منظماً وقوياً ، وأعلن الإخوان — في كلمات قوية تجمع لسماعها أعضاء المجلس في شرفاته — رفض الإخوان لهذا التشريع ومطالبة المجلس برفضه .

( ب ) القسم الثاني : وهو مايمكن أن يعبر عنه بحق المرحلة الثانية في تاريخ الجماعة وهي مرحلة « الصمود » في وجه محاولات القضاء على الدعوة والحركة التي عمدت إليها السلطة في هذه المرحلة .

ولعل من المناسب هنا أن نتعرض أولاً ، في كلمة ، عن شخص المرشد الجديد وعن الظروف التي واجهها من بداية الطريق .

إن خلو الميدان فجأة من الرجل الذي أنشأ الجماعة وتعهدها بكل مأوتني من إخلاص ومواهب أكثر من عشرين عاماً ، وغيابه عن مسرح الأحداث على هذه الصورة الأليمة ، وعن جماعته وهي في أدق ظروفها ، كان بالنسبة للإخوان محنة كبرى ، كما كان صدمة على نفوس أهل الغيرة على الإسلام وأنصار الجماعة ، ومصدر شعور آثم بالارتياح لأعداء الفكرة وخصوم الدعوة إذ تخلصوا من خصم عنيد وتوهموا أن في غياب

« حسن البنا » موتاً لحركة الإخوان ، وضعفاً لجماعتهم ، وعلى رأس هؤلاء الإنجليز والدول الاستعمارية الكبرى ، والصهيونية العالمية ، والصليبية الشامتة ، وقد كان ذلك أيضاً موقف الملك والحكومات الأربع والعابثين من الساسة المحترفين .

ولقد فات الحاقدين أن الدعوة الإسلامية بالنسبة للإخوان حياة تجري في دمائهم وتستحوذ على فكرهم ومشاعرهم ، وهي عندهم أكبر من كل شيء ، ومن كل إنسان ارتبط بها ، مهما كانت منزلته في الصف فهم يؤمنون بمبادئ ، ولا تدور حياتهم حول أشخاص .

### أولاً : فترة ما قبل الانقلاب العسكري :

وننتقل الآن إلى تناول الموضوع الذي كنا بصددده وهو « المرحلة الثانية » وقد اشتملت على فترتين :

### أولاهما : فترة ما قبل وقوع الانقلاب العسكري في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ م :

وأمدتها قصير لا يكاد يتجاوز عاماً واحداً :  
كان الثام صفوف الجماعة وانتظامها خلف مرشدها الجديد يتم بسرعة ودون عناء وعادت الجماعة في ارتباطها بالمرشد ونظامها سيرتها الأولى .

وكانت قضايا الإخوان من ميراث المرحلة الأولى لاتزال قائمة وتحتاج إلى متابعة ، وكان القضاء المصري بنزاهته التي تحمد له أكبر عون للدعوة في هذه المرحلة التي تتطلب استرداد سمعة الإخوان خلال العقدين الماضيين وأثرها الفعال في الرأي العام . وحدث هذا الأثر في أقوى صورة حين صدر الحكم في قضية « السيارة الجيب في ١٧ / ٣ / ١٩٥١ م وكان له صده الواسع في داخل مصر وخارجها ، ودلالاته البعيدة المدى في تاريخ الدعوة وتاريخ مصر على السواء ، وتناولته الصحافة المصرية باهتمام واختارت له أماكن ظاهرة في الصحف وعناوين ضخمة ، حيث تحدثت عما جاء في الحكم وحيثياته من إثبات التعذيب الذي وقع على المتهمين ، وعن فوزى التحقيق الذي أجري معهم ، وعن الإشادة بمبادئ الإخوان المسلمين ، وأن المتهمين انصرفوا عنها بدوافع وطنية كأبناء بلد محتل مغلوب على أمره ، وتحت تأثير كارثة فلسطين ، كما صحت المحكمة وصف النيابة للنظام الخاص بأنه جهاز إرهابي وقالت عنه في حيثيات حكمها : إنه تدريب يتمشى مع الأهداف المقررة لتحرير وادي النيل وجميع البلاد الإسلامية من نير الاستعمار ، وأنه لم يتضمن ، ولم يدع إلى ارتكاب الجريمة ، ولا يعيبه أن بعض أعضائه كونوا من تلقاء أنفسهم مؤامرة إجرامية لأعمال القتل أو التخريب .

ثانياً : فترة مابعد وقوع الانقلاب العسكري في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ م :

وعمرها الزمني نحو عشرين عاماً ، من ٢٣ يوليو ١٩٥٢ إلى تاريخ وفاة المرشد الأستاذ حسن الهضيبي في أكتوبر ١٩٧٣ م .

ولم يكن وقوع هذا الحادث التاريخي غير متوقع عند الإخوان المسلمين من ناحيتين :

أولاهما :

ماتوقعه الإمام الشهيد « حسن البنا » من إمكان قيام ثورة في البلاد إذا لم يتدارك أولوا الأمر إصلاح الفساد الذي استشرى وسوء الأحوال الذي لا يجد من الحكومات أي تحرك جاد لعلاجها ، وكان ذلك في الثلاثينيات والأربعينيات ، أي قبل تحقيق ما توقعه بنحو عشرين عاماً . وما حملني إلى إيراد هذه الحقيقة إلا أخذ العبرة التي يفيد منها كل حاكم حين يفتح قلبه للناصح الأمين ، ولا يغمض عينه عن الواقع الذي يحمل في طيه النذير .

فقد طالما نبه إلى حقائق الأمور والأخطار التي تترتب على تجاهلها في أكثر من رسالة وموقف ، فهو يقول في رسالة له بعنوان « مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي » شرح فيها سوء الأحوال في وطننا الخاص وفي وطننا العربي والإسلامي وأن إصلاحها في العودة إلى الإسلام وأنظمة الحياة فيه « ، ثم يهيب بالحكومات أن تقود الأمة عن هذا الطريق ويحذر من سوء العواقب إن لم تفعل » أما إذا استمرت الحكومة في تردها وتراخيها واضطرابها ، فلن يؤدي ذلك بالشعب إلا إلى أحد أمرين : إما أن يثور وإما أن يموت » .

وفي رسالة أخرى له بعنوان « نظام الحكم » بعد أن شرح هذا النظام في الإسلام اختتمها مناشداً أولي الأمر أن يأخذوا به ، ويحذر من التراخي في ذلك منادياً : « تداركوا الأمر قبل الفوات ... » .

وتذكرت زفرة الشاعر الذي يقول :

نصحتهمو أمري بمنعرج اللوى فلم يستبينوا النصح إلا ضحى الغد

وثانيهما :

بحكم الصلة التي كانت بين « عبد الناصر » والإخوان ، ولهذه الصلة تاريخ قد أشير إليه فيما بعد ، ولكن ماهو مطلوب تحت هذا العنوان الفرعي يكفي معه أن أذكر أن مجموعة من الإخوان كانت مكلفة من قبل المرشد بالاتصال به ، وتبليغ المرشد بما يدور في اجتماعاتها معه ، ومع من يحضر هذه اللقاءات من زملائه أولاً فأول . وكانت هذه اللقاءات قد كثرت في أواخر يناير وأوائل فبراير عام ١٩٥٢ ، ولكنها لم تنقطع على أية حال ، ولذلك فمن الطبيعي

أن يكون الإخوان على علم سابق بموعد القيام بحركة الجيش بفترة قصيرة ، وأن يكون لهم شأن فيها ، وأن يكونوا على اتفاق بالغاية من الانقلاب .

وتوخياً للإيجاز فلسنا بصدد الكتابة عن الانقلاب ولا التأريخ له ، وإنما نحن نريد أن نقتصر على ماله صلة بالإخوان من الأحداث التي وقعت خلال هذه الفترة بالذات ، التي بدأت بتاريخ حدوث الانقلاب العسكري حتى تاريخ وفاة مرشد الجماعة الأستاذ « حسن الهضيبي » رحمه الله في أكتوبر ١٩٧٣ م ، بوصفها مرحلة من مراحل تاريخ الجماعة .

ولأول أيام الثورة ، واستقبال الشعب لها بحرارة وأمل بالغين في أنحاء البلاد ، كانت تساؤلات الكثيرين من المثقفين والساسة تدور حول الرغبة في الوقوف على معلومات عن هؤلاء الضباط الذين عرفوا باسم الضباط الأحرار ، من هم ؟ وما أهدافهم ؟ وما علاقتهم بالإخوان المسلمين ؟

### حركة الجيش وعلاقة الإخوان بها :

يرجع تاريخ حركة الإخوان في الجيش إلى أواخر الثلاثينات عندما كان حسن البنا يزور بعض وحداته في المناسبات الدينية ، ويتحدث إليهم فيها عن الإسلام ، وكان طبعاً أن تجد كلماته آذاناً صاغية وقلوباً محبة للإسلام .

وكان في وسع بعض أفراد الوحدات التي يزورها من رتب مختلفة أن يحضروا دروس الثلاثاء في المركز العام التي يلقيها المرشد في محاضرات مفتوحة . ومع تحرك الدوافع الوطنية في الأمة ومطالبتها بحقوقها في جلاء الإنجليز وإلغاء المعاهدة ، ونمو حركة المقاومة الشعبية بين الطلبة والعمال ومواجهة العدوان الصهيوني في فلسطين في الأربعينيات ارتبط بجماعة الإخوان فريق من جنود الجيش ، وضباط الصف ، والضباط ، وفي خلال الفترة التي أعقبت الحرب العالمية تبلورت هذه الصلة وتحولت إلى ارتباط وثيق بالجماعة ، وبأهدافها ونظامها ، ومن هؤلاء عدد كبير من الضباط الأحرار الذين قاموا بالانقلاب وعلى رأسهم « جمال عبد الناصر » . وقد طرأ تغيير نوعي في حركة الضباط في الجيش منذ ١٩٤٦ حين بدأ « عبد الناصر » في تحويل ولاء هذه المجموعة له واتفق سراً معهم على أن تبقى الحركة داخل الجيش غير مرتبطة بالإخوان المسلمين واتجه إلى جمع أكبر عدد من الضباط وضمهم إلى الحركة بصرف النظر عن فكرهم وأخلاقهم فقد كان النمو العددي لهم أهم في نظره من كونهم على خلق ، أو مؤمنين بالفكرة التي بايع هو نفسه عليها ، وبايع عليها كثيرون من زملائه في مجلس قيادة الثورة ، وهي مبادئ الإسلام ودعوة الإخوان المسلمين .

## أول شعور بخيبة الأمل في الثورة :

وفي يوم ٣٠ يوليو تم لقاء بين المرشد وجمال عبد الناصر . « وقد دار الحديث بينهما من منطلق ما اتفق عليه عبد الناصر مع الإخوة الذين كانوا يجتمعون به قبل قيام الانقلاب ، غير أن عبد الناصر بدأ يتنصل شيئاً فشيئاً من بعض الالتزامات التي تقتضيها المشاركة المتفق عليها . فمثلاً عندما قيل له بوجوب التشاور مع الإخوان في الأمور الرئيسة في السياسة العامة قبل اتخاذ أي قرار نهائي سواء في النواحي السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية وذلك بوصفهم شركاء في المسؤولية .. هنا رفض عبد الناصر وقال عبارته التي كان يكررها في مناسبات مختلفة « إنه لايقبل وصاية من أي جهة على الثورة » وهنا وجه المرشد حديثه متسائلاً بتعجب .. « ألم تتفقوا على المشاركة ؟.. » فكان الجواب : بلى اتفقنا .

وهنا ظهر على المرشد عدم الارتياح أو الاطمئنان لدرجة أنه لم يشارك في الحديث تقريباً حتى نهاية الجلسة التي دامت نحو ساعتين ، بعدها انصرف « عبد الناصر » ، وتذكر بعض الإخوان الذين كانوا ضمن المجموعة التي عرضت على المرشد سؤال « جمال » عن موافقة الإخوان ، وما سأل عنه من أمر « عبد الناصر » وأصحابه ، وعدم الارتياح الذي بدأ على وجهه .

وقد أبدى المرشد بعد انصرافه عدم اطمئنانه إلى اتجاه هذه الحركة وعدم ثقته بالقائمين عليها لما بدا من تنصل المسؤول الأول الفعلي من التزاماته ووعوده ، التنصل الذي بلغ حد الكذب وذلك من أول خطوة في طريق الحركة ، ورتب على ذلك أنه لايمكن أن تكون حركة إسلامية تسير على الخط والهدف الذي يؤمن به الإخوان . وإنما يمكن اعتبارها على أحسن الوجوه حركة إصلاحية ، ويبغي القائمون بها الانفراد بالعمل ، وأنه يجب أن يكون تعامل الإخوان معهم قائماً على هذا الفهم<sup>(٥)</sup> .

ووقعت اختلافات في وجهات النظر الإصلاحية حول بعض الأمور مثل تحديد الحد الأقصى للملكية ، حيث رأى الإخوان أن يكون ( ٥٠٠ فدان ) فكان رد عبد الناصر : « إن الثورة رأت أن يكون التحديد بمائتي فدان فقط وهي مصممة على ذلك » .

## بيان الإخوان بخطوات الإصلاح :

أصدر الإخوان بياناً في أول اغسطس ١٩٥٢ ونشرته الصحف ، يبين خطوات الإصلاح في العصر الجديد ، جاء فيه : « ... وجوب إلغاء الأحكام العرفية وسائر القوانين المنافية للحريات .. ، ووجوب تحريم ما حرم الله .. ، والإصلاح الدستوري واستلهاً مبادئ الإسلام في شؤون الحياة ، وضروب الإصلاح الاجتماعي والزراعي والاقتصادي والديني .. والعناية بالجوانب العسكرية والتجديد والتدريب العسكري وإنشاء مصانع للأسلحة والذخيرة ، وخروج إنجلترا من مصر والسودان وكل مستعمر من بلاد الإسلام » .



## جمال عبد الناصر يحل الجماعة ويعتقل الإخوان :

وفي يوم ١٣ يناير ١٩٥٤ صدر بيان مجلس الثورة بحل جماعة الإخوان المسلمين ، وجرى اعتقال الإخوان وصدرت بيانات زائفة زاعمة اتفاق مرشد الإخوان مع الإنجليز من وراء ظهر الحكومة ، وتهما أخرى مختلفة ، فكانت السبب المباشر في اعتقال الإخوان ، ولم يلبث الإخوان أن خرجوا من معتقلاتهم في ٢٥ مارس ١٩٥٤ دون محاكمة ، وزار « جمال عبد الناصر » المرشد في منزله في يوم خروجه مع الإخوان من السجن الحربي ، ونشر في الصحف تهنة « جمال » للمرشد مهنتاً إياه بالخروج باسمه وباسم أعضاء مجلس الثورة لرد اعتبار الإخوان مما ألحق بهم من تهم كاذبة .

## محاكمات وسجون وإعدامات الإخوان في عهد « عبد الناصر » :

لم يعد أمرها خافياً على أحد في مصر أو في خارجها ، فقد سمع عنها العالم بأسره وتناقلت أخبارها الصحافة في الداخل والخارج ، وهي في جملتها تعد امتداداً لما وجه للإخوان من ضربات واضطهاد في العهد السابق مع الفارق في ضراوة التنكيل والتنكر لكل حقوق الإنسان وكرامة آدمي ، ولها نفس الدواعي الخفية والظاهرة .

وتدور الأسباب فيها جميعها حول قضيتين أساسيتين : قضية الإسلام والمطالبة بأن تحكم البلاد بشريعة القرآن ، وقضية تحرير الأرض الإسلامية من كل اعتداء يقع عليها ، سواء كانت أرض مصر أو أرض فلسطين أو غيرها .

وهما قضيتان تحاربهما الدول الاستعمارية والصليبية العالمية ، والصهيونية الباغية ، ولا تنتصر لهما حكوماتنا في أكثر دولنا العربية والإسلامية .

ولكن الله تعالى قد وضع سنناً في حياة الناس لا تغلب وأن من هذه السنن أن الغلبة في النهاية للحق على الباطل وأن العاقبة دائماً للمتقين . ولو أن أعداء الإسلام والحريات تخلوا عن تعصبهم وأدركوا مافيه مصلحتهم لعرفوا أنهم أعداء أنفسهم قبل أن يكونوا أعداء غيرهم .

لقد كانت كلها محاكمات جائرة ، واتهامات باطلة ، وقد تكشف حقائقها ، واعترف بها بعض من شارك فيها ، ولم يعد خافياً أن حادث المنشية الذي بنوا عليه إعدام الأبرياء وسجن الشرفاء واعتقال عشرات الآلاف من الرجال والشباب والنساء ، كان حادثاً ملفقاً . وأن محاكمات سنة ١٩٦٥ واعتقالاتها التي فاقت سابقتها وإعدامات ضحاياها التي كانت باسم تنظيم لقلب نظام الحكم ، إنما كانت تبريراً لضرب جماعة الإخوان والتيار الإسلامي في البلاد .

وأن مظالم الحكم الفردي وتنكيله بالأمة هو سر هزائمه العسكرية واستشراء مفسده . وفي كتاب السادات « البحث عن الذات » يقول : « إن سبب هزائمتنا في حرب ١٩٦٧

ليس قلة العناد ولا عجز الجندي المصري في المواجهة ، ولا نقص التدريب أو التكتيك ، وإنما فشل القادة أنفسهم . قد فشل القادة العسكريون في حربهم مع العدو ونجحوا في حربهم ضد الشعب فأذلوه وشوهوا تاريخه وعلموه النفاق والكراهية والحقد ، وحكموه بالحديد والقهر والاستبداد .

## عقيدة الإخوان وفكرهم :

( في العقيدة )<sup>(٦)</sup> كما أرساها القرآن والسنة :

وهي حجر الأساس والركيزة العظمى التي لا قيام للدعوة الإسلامية إلا عليها .

### ١ — تعريف العقائد :

العقائد هي الأمور التي يجب أن يصدق بها قلبك وتطمئن إليها نفسك ، وتكون يقينا عندك ، لا يمازجه ريب ولا يخالطه شك .

### ٢ — درجات الاعتقاد :

والناس في قوة العقيدة وضعفها أقسام كثيرة ، بحسب وضوح الأدلة ، وتمكنها من نفوس كل قسم :

— منهم من تلقاها تلقينا ، واعتقدها عادة ، وهذا لا يؤمن عليه من أن يتشكك إذا عرضت له الشبهات .

— ومنهم من نظر وفكر فازداد إيمانه ، وقوي يقينه .

— ومنهم من أدام النظر ، وأعمل الفكر ، واستعان بطاعة الله تعالى ، وامتلأ أمره ، وأحسن عبادته ، فأشرقت مصابيح الهداية في قلبه ، فرأى بنور بصيرته ما أكمل إيمانه وأتم يقينه ، وثبت فؤاده : ﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم ﴾ سورة محمد آية (١٧) .

### ٣ — تقدير الإسلام للعقل :

أساس العقائد الإسلامية — ككل الأحكام الشرعية — كتاب الله وسنة رسوله ﷺ . وأن كل هذه العقائد يؤيدها العقل ، ويثبتها النظر الصحيح ، ولهذا شرف الله تعالى العقل بالخطاب ، وجعله مناط التكليف ، وندبه إلى البحث والنظر والتفكير ، قال الله تعالى ﴿ قل انظروا ماذا في السماوات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ﴾ سورة يونس آية (١٠١) .

وذم الذين لا يتفكرون ولا ينظرون فقال تعالى : ﴿ وكأين من آية في السماوات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون ﴾ سورة يوسف آية (١٠٥) .

وطالب الخصوم بالدليل والبرهان حتى فيما هو ظاهر البطلان تقديرا للأدلة وإظهارا لشرف الحجة ﴿ ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون ﴾ سورة المؤمنون آية (١١٧) .

فالإسلام لم يحجر على الأفكار ولم يحبس العقول ، وإنما أرشدها إلى التزام حدها ، وعرفها قلة علمها ، وندبها إلى الاستزادة من معارفها ، فقال تعالى : ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ سورة الإسراء آية (٨٥) ، وقال تعالى : ﴿ وقل رب زدني علماً ﴾ سورة طه آية (١١٤) .

#### ٤ — أقسام العقائد الإسلامية :

العقائد الإسلامية تنقسم إلى أربعة أقسام رئيسة ، تحت كل قسم منها فروع عدة :

##### القسم الأول : الإلهيات :

وتبحث فيما يتعلق بالإله سبحانه وتعالى من حيث صفاته وأسمائه وأفعاله ، ويلحق بها ما يستلزمه اعتقاده من العبد لمولاه .

##### القسم الثاني : النبوات :

وتبحث في كل ما يتعلق بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم من حيث صفاتهم ، وعصمتهم ، ومهمتهم ، والحاجة إلى رسالتهم . ويلحق بهذا القسم ما يتعلق بالأولياء رضوان الله عليهم ، والمعجزة والكرامة ، والكتب السماوية .

##### القسم الثالث : الروحانيات :

وتبحث فيما يتعلق بالعالم غير المادي ، كالملائكة عليهم السلام ، والجن ، والروح .

##### القسم الرابع : السمعيات ، فيما يتعلق بالحياة البرزخية والحياة الأخروية :

كأحوال القبر ، وعلامات القيامة ، والبعث ، والموقف ، والحساب ، والجزاء . وسيقتصر تناولنا هنا على القسم الأول لاتصاله بموضوع البحث .

##### الإلهيات : وتتضمن ذات الله تعالى وأسماءه وصفاته .

١ — ذات الله تعالى : إن ذات الله تبارك وتعالى أكبر من أن تحيط بها العقول البشرية ، وأن عقولنا من أكبرها إلى أصغرها تنتفع بكثير من الأشياء ولا تعلم حقائقها . فالكهرباء ، والمغناطيس وغيرهما ، قوى نستخدمها ونتنفع بها ولا ندرك بحواسنا حقيقتها بل آثارها ، على أن معرفة حقائق بعض الأشياء وذواتها لا يفيدنل بشيء ويكفي أن نعرف من خواصها ما يعود بالفائدة علينا .

فإذا كان هذا شأننا في الأمور التي نلمسها ونحسها فما بالك بذات الله تبارك وتعالى وقد ضلّ أقوام تكلموا في ذات الله تبارك وتعالى ، فكان كلامهم سبباً لضلّالهم وفتنتهم واختلافهم ، لأنهم يتكلمون فيما لا يدركون تحديده ، ولا يقدرّون على معرفة كنهه ، ولهذا نهى رسول الله ﷺ عن التفكير في ذات الله ، وأمر بالتفكير في مخلوقاته .

٢ — أسماء الله الحسنى : إنه الخالق المتصرف جل وعلا ، تعرف إلى خلقه بأسماء وصفات تليق بجلاله ، يحسن بالمؤمن حفظها تبركا بها ، وتلذذاً بذكرها ، وتعظيماً لقدرها .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لله تسعة وتسعون اسماً مائة إلا واحداً ، لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة ، وهو وتر يحب الوتر » رواه البخاري ومسلم .

وهناك بحوث تتعلق بأسماء الله الحسنى

( أ ) الأسماء الزائدة عن التسعة والتسعين :

بغيرها من الأسماء ، مثل الحنان ، المنان ، البديع ، المغيث ، الكفيل ، ذو الطول ، ذو المعارج ، ذو الفضل ، الخلاق .

( ب ) الأحاديث التي وردت فيها ألفاظ على أنها أسماء لله تعالى على المجاز :

ولكن قرائن الحال وأصل الوضع يدل على غير ذلك ، فذلك من قبيل المجاز لا الحقيقة ومن قبيل تسمية الشيء باسم غيره لعلاقة بينهما أو على تقدير بعض المحذوفات . مثال ذلك الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لاتسبوا الدهر فإن الله هو الدهر » رواه مسلم فلا يراد منه ظاهره وحقيقة الإطلاق ، بل المقصود ، فإن الله هو المسبب لحوادث الدهر فلا يصح أن ينسب إلى الدهر شيء ولا أن يسب ويذم .

( ج ) التوقيف في أسماء الله تعالى وصفاته :

والجمهور على أنه لا يصح أن نطلق على الله تبارك وتعالى اسماً أو وصفاً لم يرد به الشرع ، بقصد اتخاذ اسماً له تعالى وإن كان يشعر بالكمال . فلا يصح أن نقول مثلاً : مهندس الكون الأعظم ، على أن يكون هذا ومثله أسماء أو صفات له تعالى يصطلح عليها ، ويتفق على إطلاقها عليه تعالى ، ولكنها إذا جاءت في عرض الكلام لبيان تصرفه تعالى من باب التقريب للأفهام فلا بأس ، والأولى العدول عن ذلك تأديباً مع الحق تبارك وتعالى .

#### ( د ) العلمية والوصفية في هذه الأسماء :

من الأسماء التسعة والتسعين علم واحد ، وضع للذات القدسية وهو لفظ الجلالة : الله ، وباقيها كلها ملاحظ فيها معنى الصفات . ولهذا صح أن تكون إخباراً للفظ الجلالة . وهل هو مشتق أو غير مشتق ، مسألة خلافية ، لا يترتب عليها أمر عملي . حسبنا أن نعلم أن اسم الذات هو هذا الاسم المفرد وبقية الأسماء مشربة بالوصفية . وفي هذا الكفاية .

#### ( هـ ) خواص أسماء الله الحسنى :

يذكر البعض أن لكل اسم من أسماء الله تعالى خواص وأسراراً تتعلق به على إفاضة فيها أو إيجاز ، وقد يتغالى البعض فيتجاوز هذا القدر إلى زعم أن لكل اسم خادماً روحانياً يخدم من يواظب على الذكر به . وهكذا ، والذي يعلمه في هذا ( الإمام حسن البنا ) وفوق كل ذي علم عليم ، أن أسماء الله تعالى ألفاظ مشرفة لها فضل على سائر الكلام . وفيها بركة . وفي ذكرها ثواب عظيم ، أما مازاد على ذلك فلم يرد في كتاب ولا سنة ، وقد نهينا عن الغلو في دين الله تعالى ، والزيادة فيه ، وحسبنا الاقتصار على ما ورد .

#### ( و ) اسم الله الأعظم :

ورد ذكر اسم الله الأعظم في أحاديث كثيرة .

والعلماء يختلفون في تعيينه لاختلافهم في ترجيح الأحاديث بعضها على بعض . فإذا تقرر هذا ، فما يدعيه بعض الناس من أنه سر من الأسرار يمنح لبعض الأفراد ، فيفتحون به المغلقات ، ويخرقون به العادات ، ويكون لهم به من الخواص ما ليس لغيرهم من الناس ، أمر زائد على ما ورد عن الله ورسوله ﷺ .

#### ٣ — صفات الله تعالى :

#### ( أ ) صفاته تعالى في نظر العقل :

إن الناظر إلى هذا الكون وما فيه من بدائع الحكم وغرائب الخلق ودقيق الصنع مع العظمة والاتساع ، والتناسق والإبداع ، بحيث يتألف من مجموعه وحدة كونية ، كل جزء منها يخدم الأجزاء الأخرى كما يخدم العضو في الجسم الواحد بقية الأعضاء ، يخرج من كل ذلك من غير أن يأتيه دليل أو برهان أو وحي أو قرآن بهذه العقيدة والنظرية السهلة وهي : أن لهذا الكون خالقاً صانعاً واحداً ، وأن هذا الصانع لا بد أن يكون عظيماً فوق ما يتصور العقل البشري الضعيف من العظمة ، قادراً فوق ما يفهم الإنسان من معاني القدرة ، وحيّاً بأكمل معاني الحياة ،

وأنة مستغن عن كل هذه المخلوقات ، لأنه كائن قبل أن تكون وعليم بأوسع حدود العلم ، وأنه فوق نواميس هذا الكون لأنه واضعها ، وأنه قبل هذه الموجودات لأنه خالقها وبعدها لأنه الذي سيحكم عليها بالعدم . وإجمالاً سيرى نفسه مملوءاً بالعقيدة بأن صانع هذا الكون ومدبره يتصف بكل صفات الكمال فوق مايتصورها العقل البشري المحدود . ومنزه عن كل صفات النقص وسيرى هذه العقيدة وحي وجدانه لوجدانه وشعور نفسه لنفسه ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ الروم (٣٠) .

#### ( ب ) مجمل صفات الله في القرآن :

— وجود الله تعالى : أشارت آيات القرآن الكريم إلى بعض الصفات الواجبة لله تعالى ، والتي يقتضيها كمال الألوهية ، كقوله تعالى ﴿ وهو الذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون . وهو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون ، وهو الذي يحيي ويميت ، وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون ﴾ المؤمنون (٧٨ — ٨٠) .

#### — قدم الله تعالى وبقاؤه :

كما في قوله تعالى ﴿ هو الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم ﴾ الحديد (٣) وقوله تعالى ﴿ قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ﴾ سورة الإخلاص . وفي ذلك إشارة إلى مخالفته تبارك وتعالى للحوادث من خلقه ، وتنزهه عن الولد والوالد والشبيه والنظير .

#### — قيام الله تعالى بنفسه :

قال تعالى : ﴿ يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله ، والله هو الغني الحميد ﴾ سورة فاطر (١٥) .

#### — وحدانيته تعالى :

قال تعالى : ﴿ وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون ﴾ سورة النحل (٥١) .

### — قدرة الله تعالى :

قال تعالى : ﴿ ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب ﴾ سورة ق (٣٨) .

### — إرادة الله تعالى :

قال تعالى ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴾ يس (٨٢) وغير ذلك من الآيات الكريمة التي تشير إلى إثبات إرادة الله تعالى وأنها فوق كل إرادة ومشية ﴿ وما تشاؤون إلا أن يشاء الله ﴾ سورة الدهر (٣٠) .

### — علم الله تعالى :

قال تعالى ﴿ يعلم ما في السموات والأرض ويعلم ما تسرون وماتعلنون والله عليم بذات الصدور ﴾ التغابن (٤) .  
وغيرها من الآيات الكثيرة الدالة على سعة علمه تبارك وتعالى وإحاطته بكل شيء ، قل أو كثير ، دق أو عظم .

### — حياة الله تعالى :

قال تعالى ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ، له ما في السماوات وما في الأرض ﴾ البقرة (٢٥٥) .  
إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة الدالة على أن الله تبارك وتعالى متصف بالحياة الكاملة التي ليس ثم أكمل منها .

### — سمع الله تعالى وبصره :

قال تعالى ﴿ يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، والله يقضي بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء ، إن الله هو السميع البصير ﴾ سورة غافر : (٢٠) .

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي تدل على اتصافه تعالى بالسمع والبصر .

### — كلام الله تعالى :

قال تعالى ﴿ وكلم الله موسى تكليماً ﴾ النساء ١٦٤  
إلى غير ذلك من الآيات التي تدل على اتصافه تعالى بصفة الكلام .

## — صفات الله لا تنهاى :

وصفاته تبارك وتعالى في القرآن الكريم كثيرة ، وكمالاته تعالى لا تنهاى ولا تدرك كنهها عقول البشر ، سبحانه لانحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه .

## — بين صفات الله وصفات الخلق :

إن المعنى الذي يقصد باللفظ في صفات الله تبارك وتعالى يختلف اختلافاً كلياً عن المعنى الذي يقصد بهذا اللفظ عنه في صفات المخلوقين ، فالعلم والحياة والسمع والبصر والكلام والقدرة والإرادة ، مدلولات الألفاظ فيها تختلف عن مدلولاتها في حق الخالق من حيث الكمال والكيفية اختلافاً كلياً .

## ترجيح مذهب السلف :

والإمام « حسن البنا » ومدرسته على اعتقاد أن رأي السلف من السكوت وتفويض علم هذه المعاني إلى الله تبارك وتعالى أسلم وأولى بالاتباع ، حسماً لمادة التأويل والتعطيل وأن تأويلات الخلف لا توجب الحكم عليهم بكفر ولا فسوق ولا تستدعي هذا النزاع الطويل بينهم وبين غيرهم قديماً وحديثاً ، وصدر الإسلام أوسع من هذا كله . وقد لجأ أشد الناس تمسكاً برأي السلف ، رضوان الله عليهم ، إلى التأويل في عدة مواطن ، وهو الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه ، من ذلك تأويله لحديث : « الحجر الأسود يمين الله في أرضه » وقوله ﷺ : « قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن » وقوله ﷺ : « إني لأجد نفس الرحمن من جانب اليمين » .

وقام الإمام النووي بما يفيد قرب مسافة الخلاف بين الرأيين ، مما لا يدع مجالاً للنزاع والجدال ولا سيما وقد قيد الخلف أنفسهم في التأويل بجوازه عقلاً وشرعاً ، بحيث لا يصطدم بأصل من أصول الدين .

وخلاصة هذا البحث أن السلف والخلف قد اتفقا على أن المراد غير الظاهر المتعارف بين الخلق ، وهو تأويل في الجملة ، واتفقا كذلك على أن كل تأويل يصطدم بالأصول الشرعية غير جائز ، فأنحصر الخلاف في تأويل الألفاظ بما تجوز في الشرع ، وهو هين كما ترى وأمر لجأ إليه بعض السلف أنفسهم ، وأهم ما يجب أن تتوجه إليه هم المسلمين الآن توحيد الصفوف ، وجمع الكلمة ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً . والله حسبنا ونعم الوكيل .



( في السياسة ) نظام الحكم في الإسلام<sup>(٧)</sup> في فكر « حسن البنا » :

الحكومة في الإسلام :

يفترض الإسلام الحنيف الحكومة قاعدة من قواعد النظام الاجتماعي الذي جاء به للناس ، فهو لا يقر الفوضى ، ولا يدع الجماعة المسلمة بغير إمام .. قال الإمام الغزالي رضي الله عنه : « اعلم أن الشريعة أصل ، والملك حارس ، وما لا أصل له فمهدوم وما لا حارس له فضائع » فلا تقوم الدولة الإسلامية إلا على أساس الدعوة ، حتى تكون دولة رسالة لاتشكيل إدارة ، ولا حكومة مادة لاروح فيها ، كما لاتقوم الدعوة إلا في حماية تحفظها وتنشرها وتبلغها وتقويها .

وأول خطئنا أن نسينا هذا الأصل ، ففصلنا الدين عن السياسة عملياً ، وإن كنا لم نستطع أن نتنكر له نظرياً ، فنصصنا في دستورنا على أن دين الدولة الرسمي هو الإسلام ، ثم زيد عليه نص بعد استشهاد « البنا » ، طالما كافح من أجله ليكون واقعاً عملياً ، هو أن الشريعة الإسلامية المصدر الرئيس للتشريع .

وقد كان الفكر السياسي في مصر إبان العشرينيات والثلاثينيات من هذا القرن متأثراً أكبر التأثير إن لم يكن كله بالفكر العلماني الذي يفصل الدين عن السياسة وعن الحياة ، ويدعو الأمة إلى الانخراط في حضارة الغرب المتقدمة ، حلوها ومرها ، خيرها وشرها ، على حد تعبير طه حسين في كتابه « مستقبل الثقافة في مصر » ، وقد كان للانقلاب الكمالي في تركيا واتجاهه العلماني أثره في تشجيع هذا الفكر ودعائه ، ولكن الأمر تغير في العقود التالية ، ولاشك أنه كان لهذه التحديات الفكرية الموجهة ضد الإسلام وامتداداتها الاجتماعية أثرها المضاد وردود فعلها المقابلة عند أهل الغيرة على دين الله من الدعاة والمصلحين ، إذ قوى عود الفكر الإسلامي وتدفق تياره وظهرت ثمار دعائه من الرواد أمثال الأفغاني والكواكبي ومحمد عبده ورشيد رضا ، فقامت دعوات وحركات إسلامية في المغرب العربي وآسيا وإفريقيا ، ومن بعدهم ظهرت حركة الإخوان المسلمين في أواخر الثلاثينيات ، وكان لشخصية مؤسسها الداعية « حسن البنا » وفكره أبعد الأثر في نجاح هذه الدعوة ورسوخ مبادئها واتساع انتشارها ، وبروزها على مسرح الحياة السياسية والاجتماعية ، ولعل من أهم المفاهيم التي أكدتها في وعي الشعب أن الإسلام دين ودولة ، وعبادة وأنظمة حياة ، وأن السياسة جزء من الدين ، وأن الحكم بشريعة الإسلام هو مطلب كل مسلم ، وأنه لاصلاح لما فسد من أمر الناس إلا بالعودة إلى الإسلام ، وذلك مما دفع « حسن البنا » حياته ثمناً له .

وبانحدار الفكر العلماني وغلبة الفكر الإسلامي في الأمة ، تكون الأمور سائرة في طريقها الطبيعي ، وقد شاء الله لأمر هو بالغه أن يشهد العقدان الأخيران مولد صحوة إسلامية تجاوزت

حدود بلد بعينه لتعم كل بلدان العالم العربي والإسلامي ، وهي ظاهرة صحية ولها دلالتها وآثارها الفريدة والبعيدة ، وهي كلها خير وبركة على عالمنا هذا المعاصر ، وهي تهيب بالأمة الإسلامية حكاماً ومحكومين أن يرعوها ، وإنها لمن سنن الله التي لا سبيل إلى تجاهلها ولا الوقوف في وجهها ، وإنها لتدعونا إلى العودة لنظام الإسلام والحكم بشريعة الله ، وفي ذلك استقرار الأمة ، وتحقيق آمالها ، وتأکید ذاتها ومناطق قوتها وعزها .

\* \* \*

### ( موقف الإسلام من النظام النيابي والدستور المصري ) :

يقول علماء الفقه إن « النظام النيابي » يقوم على مسؤولية الحاكم ، وسلطة الأمة ، واحترام إرادتها . وأنه لا مانع فيه يمنع من وحدة الأمة واجتماع كلمتها ، وليست الفرقة والخلاف شرطاً فيه ، وإن كان بعضهم يقول إن من دعائم النظام النيابي البرلماني : الحزبية . ولكن هذا إذا كان عرفاً فليس أصلاً في قيام هذا النظام ، لأنه يمكن تطبيقه دون هذه الحزبية ودون إخلال بقواعده الأصلية .

وعلى هذا فليس في قواعد هذا « النظام النيابي » ما يتنافى مع القواعد التي وضعها الإسلام لنظام الحكم ، وهو بهذا الاعتبار ليس بعيداً عن النظام الإسلامي ولا غريباً عنه . وبهذا الاعتبار يمكن أيضاً أن نقول في اطمئنان إن القواعد الأساسية التي قام عليها الدستور المصري لا تتنافى مع قواعد الإسلام ، وليست بعيدة عن النظام الإسلامي ولا غريبة عنه ، بل إن واضعي الدستور المصري برغم أنهم وضعوه على أحدث المبادئ والآراء الدستورية وأرقاها ، فقد توخوا فيه ألا يصطدم أي نص من نصوصه بالقواعد الإسلامية ، فهي إما متمشية معها صراحة كالنص الذي يقول « دين الدولة الإسلام » — وأن الشريعة الإسلامية هي المصدر الأساسي للتشريع — أو قابلة للتفسير الذي يجعلها لا تتنافى معها كالنص الذي يقول : حرية الاعتقاد « مكفولة » .

وأحب أن أنبه هنا إلى الفرق بين الدستور وبين القوانين التي تسير عليها المحاكم ، إذ أن كثيراً من هذه القوانين يتنافى صراحة مع ما جاء به الإسلام ، وذلك بحث آخر .

ومع أن النظام النيابي والدستور المصري في قواعدهما الأساسية لا يتنافيان مع ما وضعه الإسلام في نظام الحكم ، فإننا نصرح بأن هناك قصوراً سواء في عبارات الدستور ، أم في التطبيق ، وتقصيراً في حماية القواعد الأساسية التي جاء بها الإسلام وقام عليها الدستور ، أدت جميعاً إلى ما نشكو منه من فساد ، وما وقعنا فيه من اضطراب في كل هذه الحياة النيابية .

## مسؤولية الحاكم — الوزارة :

« فأما عن مسؤولية الحاكم فإن الأصل فيها في النظام الإسلامي أن المسؤول فيها هو رئيس الدول كائناً من كان ، له أن يتصرف ، وعليه أن يقدم حساب تصرفه للأمة فإن أحسن أعانته وإن أساء قومته . ولا مانع في الإسلام في أن يفوض رئيس الدولة غيره في مباشرة هذه السلطة وتحمل هذه المسؤولية ، كما عرف ذلك في « وزارات التفويض » في كثير من العهود الإسلامية ، ورخص الفقهاء المسلمون في ذلك وأجازوه ما دام فيه مصلحة والقاعدة في مثل هذه الأمور رعاية المصلحة العامة . قال الماوردي في كتاب الأحكام السلطانية : « والوزارة على ضربين ، وزارة تفويض ، ووزارة تنفيذ فأما وزارة التفويض فهو أن يستوزر الإمام من يفوض إليه تدبير الأمور برأيه ، وإمضاءها على مقتضى اجتهاده ، وليس يمتنع جواز هذه الوزارة . قال تعالى حكاية عن نبيه موسى عليه السلام ﴿ واجعل لي وزيراً من أهلي . هرون أخى . اشد به أزرى . وأشركه في أمري ﴾ طه الآيات ( ٢٩ — ٣٢ ) . فإذا جاز ذلك في النبوة كان في الإمامة أجوز ، لأن ما وكل إلى الإمام من تدبير الأمة لا يقدر على مباشرة جميعه إلا باستنابة ، ونيابة الوزير المشارك له في التدبير أصبح في تنفيذ الأمور من تفرد به ليستظهر بها على نفسه ، وبها يكون أبعد عن الزلل وأمنع من الخلل . »

والأصل في هذه المسؤولية في النظام النيابي ، أن المسؤول هو الوزارة ولا مسؤولية على رئيس الدولة ، وقد جرى على هذا الوضع الدستور المصري والدستور الإنجليزي ، فصرح كل منهما بمسؤولية الوزارة ، وإخلاء رئيس الدولة من كل مسؤولية واعتباره لا يخطئ ، واعتبار ذاته مصونة لا تمس ، كان ذلك في العهد الملكي ، ولكن الدستور المصري الحالي خول رئيس الدولة كثيراً من السلطات واختلف الوضع عما كان عليه الحال من قبل ، فهو رئيس الحزب الحاكم ورئيس الدولة في الوقت نفسه ، واقترب من بعض الوجوه من النظام الرئاسي ولا شك أن الدستور المصري بات في أمس الحاجة إلى إعادة النظر فيما يتعلق من مواده بتحديد سلطات رئيس الدولة ومسؤولياته ، وكذلك بالنسبة للسلطة التنفيذية بقصد إعادة التوازن إلى السلطات الثلاث لمصلحة الشعب واستقرار الحياة الدستورية وحماية الحقوق والحريات الأساسية ، حتى يتطهر من كل آثار نظام الحكم الشمولي الذي كان على عهد الرئيس « جمال عبد الناصر » كما يحتاج إلى مراجعة مواده على ضوء تطبيق الشريعة الإسلامية في الحكم أو على الأقل للاهتمام بروحها وأحكامها فيما لا يتطابق معها .

على أنه لا مانع في النظام النيابي من تحمل رئيس الدولة المسؤولية واعتبار الوزارة تابعة له في ذلك . كما يقرر ذلك دستور الولايات المتحدة . والغريب أن تشير كتب الفقه الإسلامي إلى هذا الوضع أيضاً وتسمى هذه الوزارة « وزارة التنفيذ » فيقول الماوردي في كتابه « الأحكام

السلطانية » أيضاً « وأما وزارة التنفيذ فحكمها أضعف ، وشروطها أقل ، لأن النظر مقصور فيها على رأي الإمام وتديره ، وهذا الوزير وسط بينه وبين الرعايا والولاية ، يؤدي عنه مأمور ، وينفذ ماذكر ويمضي ما حكم .. » ولا شك أن هذا من سعة مادة الفقه الإسلامي ومرونته وصلاحيته لكل زمان ومكان .

### ( وحدة الأمة ) :

واعتقد أن الحكم النيابي سواء كان برلمانياً أو غير برلماني — لا يأتى هذه الوحدة ، وبخاصة إذا كان لون الحياة الاجتماعية واحداً في أصوله واتجاهاته العامة ، ومع هذا فإن الحكم النيابي في أعرق مواطنه لم يقم على هذه الحزبية المسرفة ، فليس في إنجلترا إلا حزبان هما اللذان يتداولان فيها الأمر ، وتكاد تكون حزبيتهما داخلية بحتة وتجمعهما دائماً المسائل القومية المهمة ، فلا تجد لهذه الحزبية أثراً البتة . كما أن أمريكا ليس فيها إلا حزبان كذلك لانسمع عنهما شيئاً إلا في مواسم الانتخابات . أما فيما عدا هذا ، فلا حزبية ولا أحزاب . والبلاد التي تطورت في الحزبية وأسرفت في تكوين الأحزاب ذاقوا وبال أمرها في الحرب وفي السلم على السواء ، وفرنسا أوضح مثال لذلك . وإذا كان الأمر كذلك ، وكانت وحدة الأمة أساساً في النظام الاجتماعي الإسلامي ولا يأباه النظام النيابي ، فإن تنظيم الدولة الإسلامية المعاصرة ، في نظر الإخوان المسلمين يتطلب أن نضع في المقام الأول وحدة الأمة فنختار من الصيغ ما يحفظ هذه الوحدة ، وأن نستبعد منها كل ما يعرضها للتمزق ، وكذلك الشأن بالنسبة للإسلام نفسه من حيث هو مبادئ وقيم وآداب ، لا يقبل التفريط فيها من خلال صيغ العمل وأساليب الممارسة ، ومن حيث هو شريعة محكمة ، وأوامر ونواه ، وكتابات ومقاصد لن يسمح بممارسة تكوين الأحزاب السياسية إذا خالفت عن أصولها ومبادئها ولا أن تتضمن برامجها ما يخالفها كذلك . هذه ضوابط لا معدى عنها وأسس لا سبيل إلى الخروج عليها .

### ( في التربية ) :

#### مقدمة :

في مجال الاستدلال على أهمية التربية في فكر الأستاذ « حسن البنا » ومكانتها في منهج الجماعة عبر مراحل تطورها ، وتعدد مجالات نشاطها ، وسيرها نحو تحقيق أهدافها القريبة والبعيدة ، أسوق هنا طرفاً من كلام له ، والدعوة في ابتداء نشاط الجماعة في اثنتي عشرة نقطة غطت كل ما يتعلق بموضوعها ، من رسائل الإخوان في نشر الدعوة الإسلامية ، وإعداد أفرادها كما تناولت الإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي يعملون بها ، فقال تحت عنوان

في سبيل النهوض ، يجب أن تكون دعامة النهضة « التربية » تربي الأمة أولاً وتفهم حقوقها تماماً وتتعلم الوسائل التي تنال بها هذه الحقوق ، وتربي على الإيمان بها ، ويث في نفسها هذا الإيمان بقوة أو بعبارة أخرى تدرس منهاج نهضتها درساً نظرياً وعملياً وروحياً ؟ وتجده على تصور واضح من البداية بحقيقة ما يدعو إليه ومتطلباته ممن يقوم به فيمضي في قوله : « وذلك يستدعي وقتاً طويلاً لأنه منهج دراسة ، يدرس لأمة ، فلا بد أن تتذرع الأمة بالصبر والأناة والكفاح الطويل ، وكل أمة تحاول تخطي حواجز الطبيعة يكون نصيبها الحرمان . من أجل هذا يجب أن تعد البلاد التي تود النهضة مدارس طلبتها كل المواطنين ، وأساتذتها الزعماء وأهل العلم وعلومها الحقوق والواجبات العامة ، أو الغاية والوسيلة ، فليكن حجر الزاوية إصلاح خلق الأمة ، فلا نهوض لأمة بغير خلق » .

وهو يفرق بين مجرد التعليم والتربية ، ومن كلمة ألقاها في مؤتمر دعت إليه وزارة المعارف في مصر عقب الحرب العالمية الثانية ، لإعادة النظر في سياستها التعليمية ودعته الوزارة لإلقاء كلمة في « التعليم الديني » فكان مما قاله : « انتدبني الوزارة للحديث عن التعليم الديني ، وليس من رأيي أن تهتم بالتعليم الديني وإنما عليها أن تهتم بالتربية الدينية ، إننا في مصر لا يعوزنا التعليم الديني ، فالأزهر يقوم بأداء هذه الرسالة منذ مئات السنين ، أما الذي يعوزنا حقاً فهو التربية الدينية » ثم تحدث عن التعليم الديني في إنجلترا وبين أنه ليس تعليمًا دينياً بل هو تربية دينية ، وشرح برامج هذه التربية والتعديلات التي أدخلوها بعد الحرب أو الأعباء التي أضافوها على كاهل رجال الكنيسة في هذا الصدد ، واستشهد بتقرير اللجنة الموكول إليها إصلاح التعليم في مدارس إنجلترا ، تلح فيه على مضاعفة الوقت المخصص للتربية الدينية في المدارس على اختلاف درجات التعليم فيها ، وأنها السبيل لوقاية الأجيال القادمة من الانحراف ولتأهيلها لتحمل أشق الأعباء .

وفي أول رسائله في ١٩ ديسمبر ١٩٣٢ ، صدرها بتوجيهه إلى مبادئ الإخوان المسلمين ، في سبع نقاط ، كلها تدور حول أساس الدعوة وهو « التربية » ، بدأها بسلامة الاعتقاد والاجتهاد في طاعة الله ، فالحب في الله ، فالتأدب بآداب الإسلام ، ثم تربية النفس والثبات على المبدأ .

بل إن مهمته الأساسية تنم عنها تسميته لعمله في الدعوة والجماعة وهي « التعليم والإرشاد » لا الرياسة والزعامة وإن توفرا له عن جدارة وعن تقدير ومحبة في الله . وكانت هذه المهمة واضحة لديه حتى في فترة طلب العلم ، وكان التصوف في فكره أساس التربية الروحية ، فهو يرى التصوف أخذ النفس بأسلوب تربوي قويم يصفى بها من أدرانها ، ويرتفع بها عن المطامع والشهوات .. على أن يكون هذا الأسلوب مستمداً من القرآن والسنة ، ففي لزومهما الأمن من التفریط والإفراط ، والسلامة من الزيع والانحراف وقد مارس « حسن البنا » التصوف بهذا المفهوم ممارسة عملية ، فتربى منذ صغره ، وهو في سن المراهقة ، في مرحلة التعليم الابتدائي ، على أيدي شيوخ علماء أتقياء وهو يروي لنا طرفاً من ذلك في مذكراته في معرض الحديث عن شيخه « وأذكر من أساليبه

الحكيمة في التربية أنه لم يكن يسمح للإخوان المتعلمين أن يكثر الجدل في الخلافات أو المشتبهات من الأمور ، أو يرددوا كلام الملاحدة أو الزنادقة أو المبشرين — مثلاً — أمام العامة من الإخوان ، ويقول لهم اجعلوا هذا في مجالسكم الخاصة تدارسونه فيما بينكم ، أما هؤلاء فتحدثوا أمامهم بالمعاني المؤثرة العملية التي توجههم إلى طاعة الله فقد تعلق بنفس أحدهم الشبهة ولا يفهم الرد فيتشوش اعتقاده بلا سبب وتكونون أنتم السبب في ذلك » وهو يشي على التصوف والمتصوفين بهذا المفهوم فيقول « وهذا القسم من علوم التصوف وأسميه ( علوم التربية والسلوك ) لاشك أنه من لب الإسلام وصميمه ، ولا شك أن الصوفية قد بلغوا به مرتبة من علاج النفوس ودوائها ... ولا شك أنهم حملوا الناس بهذا الأسلوب على خطة عملية من حيث أداء فرائض الله واجتناب نواهيه ، وإن كان ذلك لم يخل من المبالغة في كثير من الأحيان تأثراً بروح العصور التي عاشت فيها هذه الدعوات .. ولو وقف التطبيق العملي عند هذه الحدود التي رسمها الشارع لكان في ذلك الخير » .

ولكن مفهوم التربية عنده غيره عندهم لأنهم وقفوا به عند فهم محدود بالجانب الروحي من الإسلام وتناوله هو من كل جوانبه وبكل أبعاده الروحية والعلمية والعملية كما جاء في الكتاب والسنة وكما طبقه رسول الله ﷺ وخلفاؤه الراشدون من بعده ، ولذلك أنشأ جماعة الإخوان المسلمين وظل يحتفظ بصلة المحبة نحو شيخه العالم العامل التقي ، وقد عبر عن هذه الرؤية التكاملية للإسلام في قوله « ولو أراد الله والتفت قوة الأزهر العلمية ، بقوى الطرق الروحية ، بقوة الجماعات الإسلامية العملية لكانت أمة لانظير لها : توجه ولا تتوجه ، وتقود ولا تنقاد ، وتؤثر في غيرها ولا يؤثر شيء فيها ، وترشد هذا المجتمع الضال إلى سواء السبيل » .

وكتب الأستاذ في موضوع إنشاء في آخر العام الدراسي من العام النهائي لدراسته في دار العلوم سنة ١٩٢٧ وهو بعد في الحادية والعشرين من عمره وكان رأس الموضوع « اشرح أعظم آمالك بعد إتمام دراستك ، وبين الوسائل التي تعدها لتحقيقها » فأجاب « أعتقد أن خير النفوس تلك النفس الطيبة التي ترى سعادتها في إسعاد الناس وإرشادهم ، وتعد التضحية في سبيل الإصلاح العام ربحاً وغنيمة ، والجهد في الحق والهداية — على توغر طريقهما — وما فيه من مصاعب ومتاعب ، راحة ولذة ... وعلى هذه العقيدة سلك سبيل المعلمين .. طريق التعليم والإرشاد ، الذي يوافق طريق التصوف في الإخلاص والعمل ، ويفارقه في الاختلاط بالناس ودرس أحوالهم وغشيان مجامعهم ، ووصف العلاج الناجع لعللهم ، وهذا أشرف عند الله وأعظم ، ندب إليه القرآن العظيم ، ونادى بفضله الرسول الكريم ﷺ وقد رجحت هذا الطريق بعد أن نهجت طريق التصوف ، لتعدد نفعه وعظيم فضله ولأنه أوجب الطريقتين على المتعلم ، وأجملها بمن فقه قوله تعالى ﴿ لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾ ( سورة التوبة : ١٢٢ ) .. كل ذلك اعتقدته عقيدة تأصلت في نفسي جذورها ، وطالت فروعها ، واخضرت أوراقها ، وما بقي إلا

أن تثمر ، فكان أعظم آمالي بعد إتمام حياتي الدراسية أملين : ( خاص ) وهو إسعاد أسرتي وقرابتي .. ( عام ) وهو أن أكون مرشداً معلماً ، تارة بالخطابة والمحاضرة ، وأخرى بالتأليف والكتابة ، وثالثة بالتجول والسياحة .. » .

ولا شك أن أخذه نفسه « بالتربية الصوفية » في مستقبل حياته هو من أهم العوامل التي هيأتها للقيام بأعباء الدعوة بعد ذلك وجعلته أهلاً لتربية أبناء الدعوة تربية روحية قوية كان لها أكبر الأثر في نجاحها .

### الأصول التربوية في فكر الإخوان المسلمين :

يمكن إجمالها فيما يلي :

١ — تكوين العقيدة الصحيحة في كل فرد على أساس من الكتاب والسنة ، فهي حجر الأساس في تربية الفرد والمجتمع ، وهي أساس العمل ، عمل القلب وعمل الجوارح .

٢ — إقامة العبادات والمحافظة على أدائها وهي وليدة العقيدة وكلاهما عامل أساسي في بناء الأمة الإسلامية ، من صلاة وزكاة ، وصيام وحج ، وهي أفضل ما يصل القلب بالله ويربي الوجدان الحي والضمير اليقظ .

٣ — المعاملة الإسلامية وإحسانها أساس الدين على أساس أن الدين المعاملة ، ويلحق بها التربية على الآداب الإسلامية الواردة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وسيرة السلف الصالح ، وغرس مفهوم الأخوة الإسلامية .

٤ — بناء النفوس المؤمنة والعقول الفاهمة ، والأجساد القوية .

### المنهج التربوي العملي في الجماعة :

ويمكن تلخيصه فيما يلي :

#### ١ — نظام الكتائب :

بدأه الأستاذ حسن البنا في وقت مبكر من نشأة الجماعة وهو نظام مبتكر يرجع بعض قدامى الإخوان أنه اقتبسه من اجتماعات المؤمنين — في أول العهد بالدعوة ونزول الوحي — في دار الأرقم مع رسول الله ﷺ يتدارسون الإسلام — وكان الإخوان آنذاك قلة وكان يجتمع بهم المرشد ويحدثهم في شأن الدعوة ، يأخذهم بأسلوب التربية الروحية ، في جو من الصفاء الروحي ، يصلون خلفه المغرب والعشاء ويتناولون طعام العشاء معاً خفيفاً بسيطاً ، ويتذاكرون معاً ويسمرون قليلاً ، وبعد صلاة العشاء بقليل ينامون على الأرض في حجرة واسعة ومعهم المرشد ، ثم يستيقظون قبل الفجر بساعتين فيتوضؤون ، ويتجهدون بعض ركعات في صمت

فرادى ، ويجلسون بعد ذلك منصتين إلى تلاوة أحد الإخوة لما يصل إلى نحو جزء من القرآن الكريم ، يستمعون بعده إلى درس من الأستاذ المرشد في التكوين النفسي والروحي والعملية للداعية مع عرض لتاريخ الدعوات والدعاة ، وبيان مواطن الضعف والقوة في كل منها وما يقابل ذلك في دعوتهم ، وكيف يتجنب الداعية مواطن الضعف التي عصفت بسابقه .

ثم تأتي فترة قبيل الفجر للاستغفار ، حتى يؤذن الفجر فتصليه الكتيبة خلف المرشد ، ويوزع بعدها على أعضائها الورد القرآني في ورقة يجمع فيها الأستاذ المرشد الآيات القرآنية ذات الهدف الواحد ، يقوم هو بتفسيرها تمهيداً لحفظها وأوراداً أخرى قرآنية ، فإذا طلعت الشمس قرأ الجميع معاً في صوت خافت « الوظيفة » وهي أدعية من القرآن الكريم ومن السنة النبوية كان يدعو بها النبي ﷺ إذا أصبح وإذا أمسى وكان الإخوان يحفظونها ويحافظون عليها في حياتهم الخاصة وبعد ذلك يتناولون معاً إفطاراً بسيطاً ، ينصرفون بعده إلى أعمالهم .

وكان يوزع على أفراد الكتيبة رسالة تسمى « المنهج العلمي » وهي تضم عناوين مجموعة مختارة من الكتب في كل فن من فنون العلوم الإسلامية والتاريخية والتربوية ويطلب من كل عضو في الكتيبة أن يقرأ ما يستطيع من هذه الكتب لتزوده بذخيرة من المعلومات تنير له الطريق في دعوته وتجعله أهلاً لنشرها .

وكانت تقضى ليالي الكنائس بدار المركز العام أو بخارجه ، وكلما سمح المكان لممارسة أنواع الرياضة قاموا بها ومعهم المرشد وكان منها ركوب الخيل .

## ٢ - نظام الجواله :

أراد به المرشد إبراز حقيقة الدعوة الإسلامية عندما يتمثل الداعون إليها والعاملون لتحقيق أهدافها معاني القوة والنظام والأخلاق الرياضية وإعدادهم للجندية الصحية التي يفرضها الإسلام على كل مسلم ، فكون الأخوان فرقة جواله منتسبة إلى جمعية الكشافة الأهلية ، وكانت لهم أناشيدهم الحماسية وتدريباتهم العملية ، وكان في الفرقة الواحدة الطالب بجانب العامل ، والفلاح بجانب المدرس ، والتاجر بجانب إمام المسجد ، والصانع بجانب المهندس ، والمرؤوس بجانبه الرئيس ، والشاب بجانبه الشيخ ، كلهم قد انصهر في بوتقة الدعوة ووحّدت بينهم الأخوة الإسلامية ، وكانت جحافلهم تخترق شوارع العاصمة والمدن ، وتهز قلوب المؤمنين في كل أنحاء الوطن ، بقدر ما خافها أعداؤها وأعداء الإسلام في الداخل والخارج .

ويشهد الأصدقاء والخصوم بأن فرق الجواله أدت خدمات وقامت بأعمال في مجالات عدة في الريف والمدينة ابتداء من محو الأمية ومقاومة وباء الكوليرا وخدمة البيئة وقد زاد الاهتمام بها في أعقاب المؤتمر الثالث للجماعة في عام ١٩٣٥ وبلغ عدد أعضائها نحو أربعين ألفاً .



وألحق بنظام الجواله نظام المعسكرات فكان يقيمها الإخوان من وقت لآخر في ضواحي القاهرة وكانت معسكراتهم تدريباً على الصبر والاحتمال وتربية للنفس على تحمل المشاق وكان لكل معسكر برنامج يستوعب أفراد كل دفعة يتضمن أنواعاً من الرياضة البدنية والتدريبات العسكرية والتربية الروحية والدروس الثقافية ويعقد في نهاية المدة امتحان للدفعة قبل تسريحها .

### ٣ - نظام الأسر :

وأركان هذا النظام ثلاثة :

التعارف والتفاهم والتكافل ، وأهم مايشغل الأسرة واجتماعاتها : حل مشاكل أفرادها ، ومذاكرة حول شؤون الإسلام ومدارسه كتب نافعة وتحقيق معنى الأخوة في المجالات الطارئة ، ويقوم الارتباط فيما بين أفرادها على أساس الأخوة والإيثار والتعاون وتتكون الأسرة من عدد لايتجاوز سبعة أفراد ، ولكل أسرة نقيب ويجمعها نظام يربط بينها وهو نظام كان معمولاً به في كل شعب الجماعة التي بلغت نحو ألفي شعبة في أنحاء القطر في أواخر الأربعينيات . وكان للأسرة برامجها المتدرجة في صعوبتها وشمولها ، وأنشطتها المتنوعة ، من دراسة للفكرة ، ونشرها ، وأخذ بنظم التربية البدنية والعقلية والروحية ، مع متابعة دراسة الأحداث ، ولها اجتماعاتها الأسبوعية والشهرية ، وقد تجمع أفرادها في صلاة الجمعة ، أو في رحلة خلوية ، ويتعاون أفراد كل أسرة فيما بينهم على أساس نظام التكافل الإسلامي ، إذ تحتفظ الأسرة بصندوق تعاوني ، وترسل نسبة من إيراداتها الذي تجمعها من أعضائها إلى الشعبة لتغطية نفقاتها والإسهام في مشروعاتها الاجتماعية والاقتصادية والصحية . فكانت الأسر محاضن لتربية الناشئة وحسن إعدادهم إسلامياً ، ومدارس يتعلمون فيها ويتربون تربية إسلامية حققة ، كما كانت سياجاً يحفظ عليهم إيمانهم ويجنبهم أقران السوء ومفاسد المجتمع ، وكانت تعنى بدراسة السيرة النبوية ، وإحسان التلاوة في القرآن الكريم وحفظه وتدبر معانيه .

### ٤ - النوادي الرياضية :

واهتم الإخوان في الريف والحضر بصفة عامة ، وفي العواصم والمدن ، بإقامة نواد رياضية يختلف إليها الشباب ، ويمارس مختلف ألوان الرياضة وألعاب القوى ، ويتردد على المكتبات الملحقة بها ، ويتزود من محتوياتها ، ويتعود القراءة ، كما يؤدي الصلاة في أوقاتها في المساجد التي تضمها أو تكون بجوارها . وكان الشباب يجد فيها مايشبع هواياته الرياضية ، وما يزيد من علمه وثقافته وما يوقظ معاني الإيمان في قلبه ويقوي العقيدة عنده وهو يسمع المؤذن فيخف إلى صلاة الجماعة في وقتها ، وكان لكل ناد من يشرف عليه من كل جوانب نشاطاته ويحفظ عليه نظامه وتحقيق رسالته .

## ٥ - قسم الأخوات المسلمات :

كان واضحاً منذ البداية في ذهن « حسن البنا » أن شأن المرأة في الإسلام له أثره البعيد في تكوين الرجال وأمّهات المستقبل ، وفي مساندة الأزواج في حمل تكاليف الدعوة والدعائم التي قامت عليها دعوة الإخوان المسلمين وهي تكوين الفرد المسلم ، في تفكيره وعقيدته ، وفي خلقه وعاطفته ، وفي عمله وتصرفه ، وهي بعد ذلك إقامة للبيت المسلم ، ولهذا كانت عنايته بالمرأة عنايته بالرجل . وإن نجاح الدعوة في الوصول إلى تكوين البيت المسلم هو السبيل إلى إقامة الشعب المسلم ، وفي ذلك ضمان لقيام الحكومة المسلمة التي تقوده إلى بناء الدولة الإسلامية .

« وحين أسس الأستاذ المرشد أول دار للدعوة في الإسماعيلية وأنشأ مسجداً ، أتبع ذلك ببناء مدرستين ، إحداهما للبنين أسمها « معهد حراء الإسلامي » والأخرى للبنات وأطلق عليها « مدرسة أمّهات المؤمنين » وقد عني بهذه المدرسة عناية كبيرة حيث لم تكن فكرة تعليم البنات قد وضحت بعد في أذهان المسلمين فوضع لها منهاجاً إسلامياً عصرياً يجمع بين أدب الإسلام وتوجيهه السامي للبنات والأمّهات والزوجات : وبين مقتضيات العصر ومطالبه من العلوم النظرية والعلمية والعملية » وقد أدت المدرسة رسالتها فاستتبع ذلك إنشاء قسم للأخوات المسلمات يتألف من نساء الإخوان وقرباتهن وتقوم بالتدريس فيه مدرسات على كفاءة خاصة من أهل الإسماعيلية نفسها .

ووضع الأستاذ لائحة خاصة تنظم طرائق السير ووسائل نشر الدعوة بين السيدات والفتيات من بيوت الإخوان وغيرهن . وأجمل أغراضها في التمسك بالآداب الإسلامية والدعوة إلى الفضيلة وبيان أضرار الانحرافات الشائعة بين المسلمات ، وبين وسائلها : الدروس والمحاضرات في المجتمعات الخاصة بالسيدات ، والنصح الشخصي ، والكتابة ، والنشر .

ولا شك أن لرسالة قسم الأخوات نحو العناية بالتربية الإسلامية بين عضواته كبير الأثر فيما أبدى من قوة في مواجهة للظلم وصبر على الأذى ، كما نجحت عضواته العاملات ، المؤمنات في تشجيع الفتيات الطالبات في الجامعات والمدارس على ارتداء الزي الإسلامي والاستمسك به في مواجهة دعاة التحلل والإباحية الذين يكرهون أن يروا المرأة المسلمة وهي متزينة بوقار الإسلام وحشمة المؤمنات . حتى صارت أغلبية الطالبات يلبسن الرداء الإسلامي المستوفي لآداب الإسلام وأحكام الشرع في وقتنا الحاضر .

\* \* \*

## ( في المعاملات والنظرة إلى نهج التشريع ) :

ليس الإخوان المسلمون في المعاملات والنظرة إلى منهج التشريع ممن يقفون موقف الرفض المطلق للتشريعات الحديثة ، بما في ذلك فكرة تقنين الفقه الإسلامي ، ولا ممن يقفون موقف القبول المطلق للتشريعات الحديثة بصرف النظر عن اتفاقها أو عدم اتفاقها مع أصول الإسلام التشريعية ، وإنما يدعو الإخوان المسلمون إلى تطبيق الفقه الإسلامي الذي يجمع بين التزام أحكام الإسلام ومعالجة متطلبات العصر ومشاكله باجتهاد جديد .

وبيان ذلك نجده واضحاً ومعلناً في فكر « حسن البنا » وكتابات ، منذ بداية الدعوة وعبر تطور الحركة وتتابع الأحداث والمواقف التي عاشتها الجماعة في مرحلتها الأولى ، ونجمل هذا البيان فيما يلي :

**أولاً :** أن لكل أمة قانوناً يتحاكم إليه أبنائها ، وهذا القانون يجب أن يكون مستمداً من أحكام الشريعة الإسلامية مأخوذاً عن القرآن الكريم ، متفقاً مع أصول الفقه الإسلامي . وأن في الشريعة الإسلامية وفيما وضعه المشرعون المسلمون ما يسد الثغرة ويفي بالحاجة وينقع الغلة ، ويؤدي إلى أفضل النتائج والبركات . وأن في حدود الله لو نفذت لراجرا يردع المجرم وإن اعتاد الإجرام ، ويكف العادي وإن تأصل في نفسه العدوان ، ويريح الحكومات من عناء التجارب الفاشلة . والتجربة تثبت ذلك وتؤيده . وأصول التشريع الحديث تنادي به وتدعمه . والله تبارك وتعالى يفرضه ويوجبه ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ ( المائدة : ٤٤ ) . جاء هذا في رسالة « إلى أي شيء ندعو الناس » للإمام « حسن البنا » .

**ثانياً :** وتحت عنوان « الإخوان المسلمون والقانون » في رسالة المؤتمر الخامس ، يقول — رحمه الله — « إن الإسلام لم يجيء خلواً من القوانين بل هو قد أوضح كثيراً من أصول التشريع وجزئيات الأحكام ، سواء أكانت مدنية أم جنائية ، تجارية أم دولية . والقرآن والأحاديث فياضة بهذه المعاني ، وكتب الفقهاء غنية كل الغنى بكل هذه النواحي ، وقد اعترف الأجانب أنفسهم بهذه الحقيقة » . ويعود إلى ذكر هذه الحقيقة مرة أخرى بعد سنوات في معرض كلامه عن حق الإسلام في اجتماع رؤساء المناطق ومراكز الجهاد في ٨ سبتمبر ١٩٤٥ فيقول « وقد ظفرت الفكرة الإسلامية بالتقدير الكامل في مؤتمر ( لاهاي ) عام ١٩٣٨ ، إذ قرر المؤتمر أنها شريعة مستقلة ، قابلة للتطور والنماء ، متفقة مع أحدث قواعد التشريع كما ظفرت بهذا التقرير مرة ثانية في مؤتمر ( واشنطن ) مايو ١٩٤٥م الذي مثل مصر فيه وزير العدل « حافظ باشا رمضان » ، واستطاع أن يظفر من المؤتمرين بقرار يؤكد القرار السابق ، ويحفظ لمصر ، بناء على ذلك الحق — أن يكون لها ممثل في محكمة العدل الدولية باسم الشريعة

الإسلامية . ذلك أن الإسلام في ذاته نظام اجتماعي عالمي ، يكفل للناس الخير والسعادة ، ويحل لهم مافي مجتمعاتهم من مشكلات لو نفذوا إلى روحه ، وأنفذوه على وجهه » .

ثالثاً : وعن سعة التشريع الإسلامي يقول الشيخ الإمام في مؤتمر طلبة الإخوان المسلمين في عام ١٩٣٦م « كما أن تعاليم الإسلام وسياسته ليس فيها معنى رجعي أبداً ، بل هي على أدق قواعد التشريع الصالح ، وقد اعترف التشريع لكثير منها — وسيكشف الزمن للناس على جلاله مالم يعرفوا — بأنها قد سبقته في دقة الأحكام وتصوير الأمور وسعة النظر ، وشهد بذلك كثير من غير المسلمين ، كما ورد هذا الاعتراف كثيراً في كلام المسيو « لامبيرا » وأضرابه .

وفي مذكرات الدعوة والداعية إضافة في هذا المقام أوردتها في مكانها ، وهي تحت عنوان « عقيدتنا في نظر كاتب أوروبي هو الأستاذ « أرنست رينان » أستاذ الدراسات العربية والإسلامية بالسوربون بباريس : « إن هذه الكلمات عميقة المبحث والمقصد ، وهي لاشك مستمدة من نفس المنهج الذي رسمه محمد ﷺ ونجح في تنفيذه ، فأسس به أمة ودولة ودينا ، وقد زيد فيها بما يناسب روح العصر مع التقيد بروح الإسلام » .

رابعاً : فالإخوان ينادون بإصلاح القانون حتى يتفق مع التشريع الإسلامي في كل فروعه ، وقد جاء في مذكرات الدعوة والداعية للإمام الشهيد تحت عنوان « رأي الإخوان في الإصلاح الداخلي » : ويعتقد الإخوان المسلمون أن الطريق الوحيد للإصلاح هو أن تعود مصر إلى تعاليم الإسلام ، فتطبقها تطبيقاً سليماً ، وأن تقتبس من كل فكرة قديمة أو حديثة ، شرقية أو غربية ، ما لا يتنافى مع هذه التعاليم ويكون فيه الخير للأمة . وإنما الروح التي يجب أن تسود فكرة الإصلاح عندنا وهي مبدأ الاعتماد على قواعد الإسلام وأصوله وروحه » .

خامساً : وفي إحدى رسائله بعنوان مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي ، يفند اعتراضات المعارضين على دعوته إلى إقامة دعائم الحياة الاجتماعية في كل مظاهرها على قواعد الإسلام الحنيف ليسلم المجتمع من العلل التي أصابته وعاقته عن التقدم ، ويتعرض فيما فنده من مزاعم واعتراضات إلى قول القائلين « بفصل الحياة الاجتماعية عن العقائد الدينية ، وفصل الدين عن كل مرافق الحياة ، وحصره بين الضمير والمعبد على نحو ما اصطلحت عليه أمم العالم التي بيدها اليوم مقاليد الأمور وتوجيه مقدرات الأمم والشعوب » ويرد على ماذهبوا إليه بقوله : والذين يقولون هذا القول لم يعرفوا

« الإسلام » ولم يدرسوا تعاليمه وأحكامه ، ولم يفهموه بعد على طبيعته الصحيحة ووضعه السليم .. من أنه دين ومجتمع ، ومسجد ودولة ، ودينياً وآخرة ، وأنه تعرض لشؤون الحياة الدنيوية العملية بأكثر مما تعرض به للأعمال التعبدية .

وهذا تاريخ التشريع الإسلامي يحدثنا أن عمر رضي الله عنه كان يفتي في الموسم في القضية من القضايا برأي ، ثم تعرض عليه في الموسم التالي من العام القابل فيفتي برأي آخر ، فيقال « ذاك على ما علمنا ، وهذا على ما نعلم » ، أو كلام نحوه .

كما يحدثنا أن الشافعي رضي الله عنه وضع بالعراق مذهبه القديم ، فلما تمصر وضع مذهبه الجديد نزولاً على حكم البيئة ، وتمشياً مع مظاهر الحياة الجديدة ، من غير أن يخل ذلك بسلامة التطبيق على مقتضى القواعد الإسلامية الكلية الأولى .. وأصبحنا نسمع : « قال الشافعي في القديم ، وقال الشافعي في الجديد » . ونرى تغير رأي الرجل الواحد في القضية الواحدة بحسب الزمان تارة — كما فعل ابن عمر — وبحسب المكان تارة أخرى — كما فعل الشافعي — أو يحسبهما معاً كما سمعنا أن عمر رضي الله عنه أمر بعدم القطع في السرقة عام المجاعة ، وجاءه رجل يشكو سرقة خدمه ، فأحضرهم ، فأقروا وذكروا أن سبب ذلك أنه لا يقوم بكفائتهم من طعام وملبس .. الخ ، فتركهم عمر وتوعد الرجل قائلاً : « إذا سرق خدمك مرة ثانية قطعت يدك أنت » .. واعتبرها شبهة تدراً الحد ، ولاحظ الظروف والملابسات .

فهل يقال بعد ذلك أن في الرجوع إلى النظام الإسلامي رجعية وجموداً ، وليست في الدنيا شريعة تقبل التطور ، وتسائر مقتضيات التقدم وتتمتع بمعاني المرونة والسهولة والسهولة كشرعية الإسلام الحنيف : ﴿ ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون ﴾ ( المائدة : ٦ ) ، كما فند اعتراضات أخرى لا يتسع المقام هنا لذكرها .

## في الاجتماع :

### منهاج القرآن الكريم في الإصلاح الاجتماعي :

عدد الأستاذ « حسن البنا » في « رسالة بين أمس واليوم » أصول الإصلاح الاجتماعي الكامل الذي جاء به القرآن الكريم فيما يلي :

- ( أ ) الربانية .
- ( ب ) التسامي بالنفس الإنسانية .
- ( ج ) تقرير عقيدة الجزاء .
- ( د ) إعلان الأخوة بين الناس .

( هـ ) النهوض بالرجل والمرأة جميعاً ، وإعلان التكافل والمساواة بينهما ، وتحديد مهمة كل منهما تحديداً دقيقاً .

( و ) تأمين المجتمع بتقرير حق الحياة والملك والعمل والصحة والحرية والعلم والأمن لكل فرد وتحديد موارد الكسب .

( ز ) ضبط الغريزتين : غريزة حفظ النفس ، وحفظ النوع ، وتنظيم مطالب الفم والفرج .

( ح ) الشدة في محاربة الجرائم الأصلية .

( ط ) تأكيد وحدة الأمة ، والقضاء على كل مظاهر الفرقة وأسبابها .

( ي ) إلزام الأمة الجهاد في سبيل مبادئ الحق التي جاء بها هذا النظام .

( ك ) اعتبار الدولة ممثلة للفكرة وقائمة على حمايتها ومسؤولة عن تحقيق أهدافها في المجتمع الخاص ، وإبلاغها إلى الناس جميعاً .

### الشعائر العملية لهذا النظام :

وقد خالف النظام القرآني غيره من النظم الوضعية والفلسفات النظرية ولم يترك مبادئه وتعاليمه نظريات في النفوس ، ولا آراء في الكتب ، ولا كلمات على الأفواه والشفاه ، ولكنه وضع لتركيزها وتثبيتها والانتفاع بآثارها ونتائجها مظاهر عملية ، وألزم الأمة التي تؤمن وتدين له بالحرص على هذه الأعمال وجعلها فرائض عليها لاتقبل في تطبيقها هوادة ، بل يشيب العاملين ويعاقب المقصرين عقوبة قد تخرج بالواحد منهم من حدود هذا المجتمع الإسلامي وتطوح به إلى مكان سحيق . وأهم هذه الفرائض التي جعلها هذا النظام سياجاً لتركيز مبادئه هي :

( أ ) الصلاة والذكر والتوبة والاستغفار .

( ب ) الصيام والعفة والتحذير من الترف والإسراف .

( جـ ) الزكاة والصدقة والإنفاق في سبيل الخير .

( د ) الحج والسياسة والرحلة في سبيل الله والنظر في ملكوت الله .

( هـ ) الكسب والعمل وتحريم السؤال .

( و ) الجهاد والقتال وتجهيز المقاتلين ورعاية أهليهم ومصلحتهم من بعدهم .

( ز ) الأمر بالمعروف وبذل النصيحة .

( ح ) النهي عن المنكر ومقاطعة مواطنه وفاعليه .

( ط ) التزود بالعلم والمعرفة لكل مسلم ومسلمة في فنون الحياة المختلفة كل فيما يناسبه .

( ي ) حسن المعاملة وكمال التخلق بالأخلاق الفضلى .

( ك ) الحرص على سلامة البدن والمحافظة على الحواس .

( ل ) التضامن الاجتماعي والتعاون بين الحاكم والمحكوم بالرعاية والطاعة معاً .

## أثر الحضارة الغربية في الحياة الاجتماعية في أكثر البلاد الإسلامية والعربية

إن أهم الظواهر التي لازمت الحضارة الغربية المادية والتي أقصت الدين عن الحياة تتلخص في : الإلحاد والشك في الله ، وإنكار اليوم الآخر ، والإباحية ، والأثرة في الأفراد وفي الطبقات والشعوب ، والربا والتفنن في صوره . وقد أنتجت هذه المظاهر المادية في المجتمع الأوروبي فساد النفوس وضعف الأخلاق والتراخي في محاربة الجرائم ، وكثرت المشكلات وظهرت المبادئ الهدامة ، واشتعلت الثورات المدمرة ، وتناثرت الشعوب ، وتمزقت الدول ، وأثبتت هذه المدنية الحديثة عجزها التام عن تأمين المجتمع الإنساني برغم ما فتحت عليهم من حقائق العلم والمعرفة ، وما وفرت لهم من أسباب الغنى والثراء ، وما مكنت لدولها في الأرض من قوة وسلطان ولما يمض عليها قرن من الزمان .

وقد غزت هذه الحضارة بما لازمها من هذه الظواهر البلاد العربية والإسلامية في عصور الانحطاط ، ووقوعها تحت سلطان الاستعمار ، فتأثرت بها مجتمعاتها ، بأقدار متفاوتة ، في أكثر مجالات الحياة ، حتى صار من العسير أن يفهم المسلمون حقائق دينهم ، وأن الإسلام نظام اجتماعي كامل ، وكذلك الحال بالنسبة لأنظمة الحياة الأخرى : السياسية والاقتصادية والإعلامية والثقافية والتربوية .

ومن ثم فإن من أخطر التبعات الملقاة على الفكر الإسلامي ودعائه . أن يظهروا الأمة الإسلامية على مواطن الفساد وأسبابه ، وعن السبيل إلى إصلاح ما فسد من أمرها ، والقضاء على أسباب هذا الفساد .

### بعض نتائج فساد النظام الاجتماعي في مصر :

تناول الأستاذ « حسن البنا » في رسالة المؤتمر السادس في يناير ١٩٤١م هذا الموضوع في دراسة مدعمة بالإحصاءات الثابتة حين ألقى هذا الخطاب ، وبرغم تغير الظروف عنها الآن ، إلا أن العناصر التي عرض لها لاتزال على حالها وسأكتفي منها بالإشارة إلى عناوينها :

١ — الفلاحون في مصر ومساحة الأرض الزراعية ، وتزايد عدد السكان ، وضعف الدخل القومي من الثروة الزراعية ، والحال قد تدهور عما كان عليه منذ أربعة عقود .

٢ — العمال في مصر ومشاكلهم الاجتماعية ، وتدهور مستوياتهم التقنية في مختلف مجالات العمل ، وقد أفسدتهم التغيرات الاجتماعية التي شهدتها مصر في الفترة التي أعقبت الانقلاب العسكري ، واستمرت أكثر من ثلاثة عقود ، وخولتهم حقوقاً بلا واجبات تقابلها ، وبلا توعية حضارية تسد أسلوب استخدامها ، وكانت مصدر وبال عليهم وعلى المجتمع والإنتاج القومي .

٣ — شركات الاحتكار في مصر وقد تغيرت أسماؤها عن ذي قبل في ظل الانفتاح الاقتصادي الاستهلاكي ، والاستثمارات المشتركة ، والدخول المتسللة التي أفرزت عدداً ضخماً من الرأسماليين في سنوات قليلة تحت مظلة الانفتاح والبنوك الأجنبية ، والرشوة ، والذمم الفاسدة .

٤ — الأمية ولا تزال نسبتها العالية مع زيادة عدد السكان بمعدلات سريعة وانصراف الحكومة والشعب عن علاجها فضلاً عن القضاء عليها .

٥ — انحطاط مستوى الخلق وتفشي مظاهر الفساد وهي ظاهرة لا تزال تتفاقم مع مرور الأيام وخطرها منذر بأوخم العواقب .

٦ — الأحوال الصحية والعلاجية والأمراض المستوطنة والطارئة ولم يجد عليها تحسن وربما كان أمرها في تدهور .

### في الاقتصاد :

يعاني عالمنا المعاصر ، في الشرق والغرب ، من أزمات اقتصادية طاحنة منذ الثلاثينيات من هذا القرن وهي لا تزال برغم كل المحاولات في تصاعد مستمر ، ولا سيما خلال العقود التي أعقبت الحرب العالمية الثانية ، حتى أنها في وقتنا الحاضر باتت تشكل أخطاراً سياسية واجتماعية بالنسبة للدول الصناعية الكبرى وتشكل ما هو أكثر من ذلك بالنسبة لدول العالم الثالث من أخطار المجاعات ، والتدهور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي وهي رؤوس مثلث واحد .

والعلاقة وثيقة وعضوية بين التدهور الاقتصادي والاجتماعي ، وتدهور السياسات في دول العالم المعاصر بصفة عامة وفي الدولتين العظميين والدول الأوروبية الصناعية بصفة خاصة ، حتى أنهما ليمثلان وجهي عملة واحدة .

ولعل الحضارة الغربية التي تسود العالم اليوم ، بأصولها المادية ، واقصائها الدين عن واقع الحياة ، ومبادئها السياسية التي تقوم على الأنانية والظلم ولا تعترف بحقوق الإنسان والشعوب والدول في الحرية والعدالة والمساواة ، برغم ما تنادي به المؤسسات الدولية وما نصت عليه



المواثيق العالمية ، هي المسؤولة في الدرجة الأولى عما وصل إليه عالمنا من شقاء واضطراب ، وما وقعت فيه دول العالم الثالث من ترد وتدهور وتخلف ومجاعات واضطرابات .

وقد نبه فلاسفة الغرب دولهم وساساتهم بأن الحضارة الغربية التي ازدهرت بقوتها وأخضعت العالم بنتائج علمها هي في طريقها الآن إلى الإفلاس لأنها فقدت القوة الروحية ، وحادت عن المبادئ الإنسانية ، وغرقت في بحار المادية والأنانية والصراعات الدولية على النفوذ والسلطان .

وقد جرتنا تبعيتنا لحضارة الغرب ، ولعجلته الاقتصادية والمالية ، ولنفوذه السياسي والعسكري ، إلى عواقب وخيمة ، وإلى معاناة في أوضاعنا الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

وفي مجال الاقتصاد وأوضاعه الراهنة في بلادنا ، زحفت علينا أقدار متفاوتة من هموم الدول الكبرى والصغرى في هذا المجال ، وأصبحنا نشكو العجز الواضح في ميزان المدفوعات والموازنات ، وتدهور الدخل القومي ، وانخفاض القوى الشرائية لعملائنا ، وازدياد البطالة ، والتضخم ، وفداحة القروض ، وارتفاع الأسعار ، ومشكلة الأجور ، وسوء العلاقة بين المؤجر والمستأجر ، وضعف الإنتاج القومي ، والتلف التكنولوجي ، وعدم الاكتفاء الغذائي في السلع الاستراتيجية وغيرها ، والتخلف الزراعي والصناعي ، والكساد التجاري .

ولا شك أن الأمة الناهضة أحوج ما تكون إلى تنظيم شؤونها الاقتصادية ، فهي أهم الشؤون في هذا العصر ، ولم يغفل الإسلام هذه الناحية بل وضع في تشريعه كلياتها ، ولم يقف أمام استكمال أمرها . فضلاً عن أن من طبيعة الإسلام نفسه ، وسعة الشريعة ، واعتباره للمصالح العامة ، ما يسمح لنا بالإفادة من أي نظام اقتصادي فاضل ، والإسلام يدعو إلى تشجيع الاجتهاد ويرفض الجمود ، والفقهاء الإسلامي مليء بأحكام المعاملات المالية وقد فصلها تفصيلاً ، ولو أننا فهمنا الإسلام حق الفهم ، ودرسنا مشاكلنا الاقتصادية دراسة جادة مستنيرة ، وأعملنا مبادئ الإسلام وقواعده الكلية وأحكامه الشرعية ، وأفدنا من تجارب الآخرين بما لا يتناقض مع هذه المبادئ والقواعد والأحكام . لحققنا للأمة نهضة عملية ، وقدمنا لدول العالم نماذج جديدة في إصلاح الأوضاع الاقتصادية التي يعانون منها ولا يعرفون لمشاكلها حلولاً جذرية .

## الموقف الفكري للإخوان المسلمين من الحضارة الغربية :

### مفهوم الحضارة :

إن حضارة أمة من الأمم ليست هي — في حقيقتها — الأشياء والمعطيات التي تصدر عنها أو عن أصحابها سواء أكانت إنتاجاً فكرياً أو علمياً أو فنياً أو تنظيمياً أو عمرانياً أو صناعياً أو عملياً مما يتعامل معه الناس في واقع حياتهم اليومية وإن كان كل ما يصدر عن هذه الأمة

يحمل في طياته شيئاً ما ينم عن حضارتها ويكشف عن خصائصها ويدل على حظها من الحيوية أو الذبول ، ومن القوة أو الضعف ، كما تدل تصرفات الإنسان على استعداداته وميوله وفكره ووجدانه وعلمه أو جهله . ولعل إنسان هذه الحضارة أو تلك هو أفضل مرآة تعكس خصائص هذه الحضارة واتجاهاتها وأذواقها فضلاً عن قوتها أو ضعفها . لأن الإنسان هو الهدف النهائي لحضارة ما وهو في الوقت نفسه صانعها ومطورها — إنها روح تسرى في الأمة وفي كل ما يصدر عنها أكثر من أن تكون هذه الأشياء التي تصدر عنها . وهي كالروح للإنسان تولد مع مولده وتقوى وتضعف وتعمر طويلاً أو قليلاً .

وأهم مكونات هذه الروح الحضارية هي نوع معتقدات أصحابها وقوتها ، ونوع نظرتهم الفلسفية للإنسان والحياة والكون ، ومجموعة القيم والمبادئ التي استقرت في نفوسهم ، والسلوكيات والعادات التي درجوا عليها ، ومبلغهم من الرقي الإنساني الأدبي والرقي العلمي المادي .

\* \* \*

#### أهم خصائص الحضارة الغربية :

أولاً : ليس من الصعب ولا هو من التجني أن يقرر المرء في حكمه على حضارة الغرب وتقويمها أنها حضارة مادية لا مكان فيها يعتد به للجانب الروحي في الإنسان ويجري التعامل فيها بين الناس على أساس مادي عملي ، وبميزان نفعي واقعي ، تغلب عليه الأنانية التي لا يزاحمها صيحة ضمير داخلي أو وازع روحي أو رادع أخلاقي . ولذلك تفككت روابطهم الأسرية وتحللت علاقاتهم العائلية ، واستبد بها الهوى ، والمصلحة الشخصية ، والاعتبارات المادية . وقد أورثهم ذلك المنزع عللاً نفسية مثل التوتر العصبي والقلق النفسي ، ولم يجدوا لها علاجاً إلا الهروب النفسي منها بإدمان الخمر وحرية ممارسة الجنس ، وألوان اللهو أو التورط في الشذوذ والعنف ، والسر في هذا الشقاء الذي يعانون منه يرجع إلى أن استبعاد البعد الروحي من حياتهم مخالف للفطرة الإنسانية ، وإطلاق العنان للغرائز وإشباعها أخل بتوازن الحياة وحرمتهم نعمة الشعور بالأمن النفسي والصفاء الداخلي .

ثانياً : إقصاؤها الدين عن الحياة وعن السياسة وعن سائر حركة الحياة في مجتمعاتهم وعزل المجتمع لمن ظل منهم على شيء من الدين في نطاق الكنيسة الضيق ، ولا يكاد يكون للدين ، في واقع حياة أصحاب هذه الحضارة ، وجود حقيقي له أثره الفعلي في حياتهم . وقد تحول إيمانهم من الدين إلى العلم والمادة ، وفشا فيهم الإلحاد والإباحية والأثرة والربا .

### أهم خصائص الحضارة الإسلامية :

أولاً : العقيدة الإسلامية التي ربطت كل فرد مسلم بخالقه وباليوم الآخر وما ينتظره من حساب على كل ما صدر منه في حياته الدنيا ، كما ربطته بالناس الذين يتعامل معهم بأحكام الإسلام التي حددت له الحلال والحرام ، والأوامر والنواهي فهو محكوم في كل تصرفاته بها ، وقد صبغت هذه العقيدة حياة الفرد والأمة بصبغة الله : ﴿ صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون ﴾ ( البقرة : ١٣٨ ) .

وحددت العقيدة للفرد وجهته في الحياة ورسالته فيها وصلته بخالقه : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ (الذاريات : ٥٦) .

ولذلك كان الأصل في الفرد المسلم أنه إنسان عقيدة ورسالة .

ثانياً : إنها حضارة مبادئ وقيم وليست حضارة شيئية ولذلك كانت هذه المبادئ مثل الحرية والعدالة والمساواة والشورى والأمانة وما إليها مبادئ ثابتة لا تتغير من ظرف إلى آخر ولا من شخص لآخر ولا من وقت لوقت ولا مع صديق أو عدو ولا في سلم أو حرب ولا في عافية أو شدة . ومن ثم كانت حضارة الإسلام حضارة إنسانية وكان الإسلام ديناً عالمياً . وكانت كل مفرزاتها الفكرية والوجدانية والسلوكية والتنظيمية والعمرانية والسياسية مصطبغة بالصبغة الإسلامية ﴿ صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون ﴾ (البقرة : ١٣٨) .

ثالثاً : الأمة صاحبة هذه الحضارة فضلاً عن كونها أمة واحدة ﴿ وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون ﴾ (المؤمنون ٥٢) . فهي أمة عقيدة ومبادئ ودعوة ، ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾ (آل عمران ١٠٤) .

والدولة الإسلامية هي أيضاً دولة عقيدة ومبادئ ودعوة : ﴿ الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر . ولله عاقبة الأمور ﴾ (الحج ٤١) .

### مقارنة وفارق جوهري بين الحضارتين والأمتين :

أولاً : من حديث عن رسول الله ﷺ مامعناه ، عندما دخل عليه عمر رضي الله عنه حجرتة ذات يوم ، فاستيقظ رسول الله ﷺ من إغفائه فوقع نظر عمر رضي الله عنه على وجه رسول الله ﷺ وقد ترك الحصر أثره عليه فأطرق واستعبرت عيناه ، فقال له رسول الله ﷺ ،

مايكيك بالبن الخطاب ؟ فأجابه عمر : هذا الذي أرى ، أثر الحصر على وجهك ولا شيء في غرفتك أراه إلا الثوب فوق مشجبه وشيئاً من حنطة وغيرك من عظماء الفرس والروم في الدياج والحرير . فقال له رسول الله ﷺ مصححاً له النظرة من أساسها وناصباً له الميزان الذي تقاس به الأمور ، يا ابن الخطاب : هؤلاء قوم قد عجلت لهم طبياتهم في الحياة الدنيا ، وإنا قوم قد أجلت لنا طبياتنا في الحياة الآخرة .

ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طبياتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون ﴾ . (الأحقاف ٢٠) .

وقد وقفت أمام السبيين اللذين أوردهما القرآن الكريم في تعليل ماينتظر من نزل فيهم القول من عذاب الهون فإذا هما : الاستكبار في الأرض بغير الحق ، والفسوق الذي كانوا عليه ، ونظرت في استكبار الدول الاستعمارية بغير الحق ، وبغيهم على الناس واستنزاف خيرات بلادهم ، وتآمرهم على تعويق رقيها وتقدمها ، وما هم عليه من مروق عن دين الله وارتكابهم المعاصي وتعاونهم على البغي والعدوان وغير ذلك من فسوق وظلم . إنهما يصفان ماعليه أهل هذه الحضارة وينطبقان على ما نالنا منهم عبر قرون خلت .

ثانياً : خير الله الناس بين مسلكين في الحياة ، ووجهتين مختلفتين فيها ، وعلى أساس اختيار الإنسان لأحد الطريقتين ، يتحدد أمره في الحياة الدنيا والحياة الآخرة ، وقد وضع الله تعالى خصائص كل من الطريقتين ، وبصرنا بحقائقهما وذلك في قوله تعالى : ﴿ من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً . ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً . كلاً نُمِدُّ هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً . انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً . لا تجعل مع الله إلهاً آخر فتقعد مذموماً مخذولاً ﴾ (الإسراء ١٨ — ٢٢) . وإذا كانت إرادة العاجلة دون الآخرة قد استبدت بغيرنا ، فإن الأجدر بنا مخالفتهم في ذلك إلى مايدعونا الإسلام إليه من عمارة الآخرة بأن نسعى لها سعيها في عمارة الأرض وإقامة أمة الإسلام ودولته وحضارته ، واعتبار هذا السعي عبادة واجبة .

موقفنا من الحضارة الحديثة :

أولاً : لكن كانت حضارة الغرب الحديثة مدينة لحضارة الإسلام يوم اتصلت أوروبا بالإسلام أثناء الحروب الصليبية ، وفي الغرب بمجاورة عرب الأندلس ومخالطتهم ، في توحيدها السياسي

واكتسابها علوماً ومعارف جمّة ، ثم هم قد تفوقوا في مجال العلم والاختراع والصناعة وقويت شوكتهم وأقبلت الدنيا عليهم وقامت حضارتهم ، واستعمروا الدول العربية والإسلامية ، وأحكموا خطة غزوها فكرياً واجتماعياً واستعانوا بدهائهم السياسي وسلطانهم العسكري حتى تم لهم ما أرادوا . حتى أسقطوا الخلافة ، وأعجب كثير من القادة والمفكرين بعلمانية تركيا التي أعلنت أنها دولة غير إسلامية ، وتأثرت البلاد الإسلامية بهذه الحضارة الحالية بنسب متفاوتة بلغت ذروتها في بلاد كثيرة مثل تركيا ومصر حتى تغيرت فيها الأوضاع والمظاهر الاجتماعية وانحسر ظل الفكرة الإسلامية حيناً من الدهر ، وبلاد أخرى تأثرت بهذه الحضارة الغازية في أوضاعها ومظاهرها الرسمية ولكنها لم تغلغل في القلوب والمشاعر وغيرها ، وانحصر التأثير فيها بهذه الحضارة في طبقة المثقفين والحكام دون العامة ، ومع هذا<sup>(٨)</sup> فالموجة تمتد بسرعة البرق لتصل إلى مالم تصل إليه بعد من النفوس والطبقات والأوضاع . ولقد استطاع خصوم الإسلام أن يخدعوا بعض عقلاء المسلمين وأن يضعوا ستاراً كثيفاً أمام أعينهم ، بتصوير الإسلام نفسه تصويراً قاصراً في ضروب من العقائد والعبادات والأخلاق إلى جانب مجموعة من الطقوس والخرافات والمظاهر الجوفاء ، وأعانهم على هذه الخديعة جهل المسلمين بحقيقة دينهم حتى استراح كثير منهم إلى هذا التصوير ، واطمأنوا إليه ، ورضوا به ، وطال عليهم في ذلك الأمد حتى صار من العسير أن نفهم أحدهم أن الإسلام نظام اجتماعي كامل يتناول كل شؤون الحياة .

ونستطيع أن نقول بعد ذلك إن الحضارة الغربية بمبادئها المادية قد انتصرت في هذا الصراع الاجتماعي على الحضارة الإسلامية بمبادئها القويمة الجامعة للروح والمادة معاً في أرض الإسلام نفسه ، وفي حرب ضروس ميدانها نفوس المسلمين وأرواحهم وعقائدهم وعقولهم كما انتصرت في الميدان السياسي والعسكري . ولا عجب في هذا فإن مظاهر الحياة لا تتجزأ والقوة قوة فيها جميعاً ، والضعف ضعف فيها جميعاً كذلك :

﴿ وتلك الأيام نداولها بين الناس ﴾ (آل عمران ١٤٠) ، وإن كانت مبادئ الإسلام وتعاليمه ظلت قوية في ذاتها ، فياضة بالخصب والحياة ، جذابة أخاذة بروعتها وجمالها ، وستظل كذلك لأنها الحق ولن تقوم الحياة الإنسانية كاملة فاضلة بغيرها ، ولأنها من صنع الله وفي حياطته ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ (الحجر ٩) . ﴿ ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ﴾ (التوبة ٣٢) .

ولكن اليقظة التي أحدثها استعمارهم الغاشم لبلادنا ، وبروز الفكر العلماني ودعوة القومية العربية بين مثقفينا ، نبهت المشاعر وأنعشت الفكرة الإسلامية ، وتحركت الجماعات الإسلامية في أكثر من بلد عربي وإسلامي لتحد من سطوة الحضارة الغربية

وانقياد المسلمين لها وقامت دعوة الإخوان المسلمين تنادي بالعودة إلى الإسلام والأخذ بمبادئه وتطبيق شريعته وأن تقف في وجه تيارها الذي جرف الشعوب الإسلامية ، وأبعدها عن دينها ، وارتفعت أصوات تدعو إلى تقليد الحضارة في كل نواحي الحياة والأخذ بمفاهيمها والنقل عنها ، وإلى اطراح الفكرة الإسلامية .

كان لابد من مواجهة هذا التيار المادي الذي يدعمه العلم والمال ، والسياسة ، وضروب الحياة الناعمة المغرية التي لم نكن نعرفها من قبل ، والذي نجح في دفع الأمة إلى صنب معظم أوضاعها الاجتماعية بالصبغة الأوربية وجعلها تحيا حياة ثنائية متناقضة ، وأشفق الإخوان كل الاشفاق من أن تكون هذه النهاية هي التحلل مما بقي من مظاهر الإسلام والانغماس الكلي في الحياة الغربية بكل مظاهرها . وقد نجحت الدعوة الإسلامية في تخفيف وطأة هذا الغزو شيئاً فشيئاً حتى تراجعت فكرة العلمانية وصيحة القومية العربية وكسبت الجولة الفكرة الإسلامية وقد تفتحت أعين المسلمين على حقيقة دينهم ، وتنبهت الأمة إلى خطر الانقياد الأعمى للقائلين بأن سبيل النهوض من كبوتنا هو محاكاة الغرب في كل أنظمة حياته ، وانحازت الأمة إلى طريق الإسلام وأصوله وقواعده وحضارته ومدنيته وأمنت أنه الطريق الوحيد الذي يجب أن تسلكه لبناء نفسها من جديد ، وتخليصها من قيودها السياسية ، وتغيير أوضاعها الاجتماعية والاقتصادية ، واستعادة ثقافتها في نفسها ، وبات من الحقائق الثابتة في العقود الأربعة الأخيرة ، ما كان مجهولاً أو منكوراً من قبل ، إن<sup>(٩)</sup> الإسلام دين ومجتمع ، ومسجد ودولة ، ودنيا وآخرة ، وإنه تعرض لشؤون الحياة الدنيوية العملية بأكثر مما تعرض للأعمال التعبدية ، وإن كان قد أقام الشطرين معاً على دعامة من سلامة القلب وحياة الوجدان ومراقبة الله ، وطهر النفس : فالدين على هذا جزء من نظام الإسلام ، والإسلام ينظمه كما ينظم الدنيا تماماً ، ونحن المسلمين مطالبون بأن يقوم ديننا ودنيانا على أساس القواعد الإسلامية : ﴿ ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ﴾ (المائدة ٥٠) .

ثانياً : إن الإسلام<sup>(١٠)</sup> يدعو إلى أن نأخذ من كل شيء أحسنه ، وينادي بأن الحكمة ضالة المؤمن أتى وجدها فهو أحق الناس بها . فالإسلام لا يأبى أن نقبس النافع وأن نأخذ الحكمة أتى وجدها . فليس هناك ما يمنع من أن ننقل عن حضارة الغرب كل ما هو نافع مفيد عنها ، أو عن غيرها من الحضارات ، ونطبقه وفق قواعد ديننا ونظام حياتنا وحاجات أمتنا ولكن الذي يأباه الإسلام كل الإباء أن نتشبه في كل شيء بمن ليسوا من دين الله على شيء وأن نطرح عقائده وفرائضه وحدوده وأحكامه ، وأوامره ونواهيه ، لنجري وراء قوم فتنهم الدنيا ونسوا الله فأنسأهم أنفسهم .

والإخوان لا يكرهون شعباً من شعوب الأرض ولا دولة من الدول ولا ينكرون على حضارة ما جوانب القوة فيها ، ولا مواطن النفع عنها ، فإن الإسلام يأمر أن نحكم بالعدل وعد ذلك من التقوى ﴿ ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى . واتقوا الله إن الله عليم بذات الصدور ﴾ (المائدة ٨) . ﴿ ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين ﴾ (هود ٨٥) و(الشعراء ١٨٣) .

### نحو بناء حضارة إسلامية عصرية :

في ضوء ما تقدم من تحديد مفهوم الحضارة ، وبيان أهم خصائص الحضارتين الغربية والإسلامية ، والفرق الجوهرية بينهما ، وموقفنا من الحضارة الحديثة المعاصرة ، ودعوة الإسلام أن نأخذ بالنافع من حضارة غيرنا ما لم يتعارض مع نصوص ديننا — يكون الأساس الفكري في بناء حضارة إسلامية عصرية أصبح أمراً واضحاً .

وأما عن اقتراح منهج علمي لبناء حضارة إسلامية عصرية تجمع بين الاستفادة من التجهيزات العلمية والتقنية وبين الاستمسك بالقيم والمبادئ الإسلامية في المجالات كافة ، فإني أعتقد أن الفكرة قائمة بالفعل ولا محل للاختيار فيها لأنها تفعل فعلها وفق السنن الطبيعية لقوانين الحياة ، لأن العالم مفتوح بعضه على بعض أراد الناس أم لم يريدوا ، ولا سيما في هذا العصر الذي لم يعد يسمح بإقامة الحواجز المانعة بين الشعوب والدول ، مهما اختلفت المذاهب السياسية أو الأنظمة الاجتماعية فيها ، بل إن الاتجاه الحديث يسير بالإنسانية نحو العالمية والتقارب . ذلك عن فكرة الانتفاع بالتجهيزات العلمية والتقنية التي توصل إليها الغرب .

أولاً : وذلك أمر ممكن ولكنه يتطلب وجود إرادة حضارية في الأمة للتدريب على هذه التجهيزات وتعلم هذه التقنيات في بلادها وعلى أيدي المتخصصين فيها ، وقد فعلت ذلك دول غيرنا مثل اليابان وكوريا الجنوبية ونجحنا كما نجح غيرهما في ذلك لتوفر هذا العنصر الأساسي الذي أشرت إليه وهو وجود إدارة حضارية حقة تنبع عن ضمير الأمة حكاماً ومحكومين على أن يجري تحقيقها وفق خطة مدروسة بمعرفة ذوي التخصص في بلادنا مع الاستعانة بغيرهم من الخارج في حالة عدم توفر بعض التخصصات العلمية والتقنية عندنا والخطة هي التي سوف تحدد الأولويات وتحدد المراحل الزمنية ، والأطراف المطلوب تدريبها على أن يتم تنفيذ الخطة في خطوط متوازية . ويصحب ذلك تغيير جوهرية في مناهج التعليم عندنا ليكون التعليم في خدمة الخطة .

وأعتقد أن الموضوع من الخطورة والأهمية والدقة بحيث يتطلب إنشاء مؤسسة علمية تضم أكفأ العناصر المتخصصة في المجالات كافة مثل المعهد القومي للبحوث ، تقوم بالدراسات اللازمة لوضع خطة متكاملة لتحقيق هذا الهدف القومي الإسلامي وتحديد

متطلباته المختلفة ، وتشرف على تنفيذها ، ومتابعة مراحلها المرسومة ، ورصد النتائج ، وحصر الكفايات المتخصصة من أبناء الدول العربية والإسلامية والعقول المهاجرة ويكون منها فرقاء عمل ، كل فريق مسؤول عن العمل في دائرة تخصصه .

ولا شك أن مثل هذه المؤسسة محتاجة إلى ميزانية كافية وثابتة لتشغيل متفرغين من الخبراء ومحتاجة إلى إنشاء مركز معلومات وحاسب آلي . لحصر الطاقات المتخصصة في كل بلد . وحصر دقيق لمجالات العمل في أدق تخصصاته ، وأن يكون إطار عمل المؤسسة على الصعيد العربي والإسلامي لتتسع الفرصة في توفير التخصصات كافة وتعبئة كل الطاقات الإسلامية من كان منها في داخل هذه البلاد أو في خارجها .

ويتكون فرقاء العمل في هذه التخصصات ويوضع للعمل نظام إداري لضبطه ومتابعته وخدمته . ويتكون من رؤساء هذه الوحدات مكتب العلماء المشرفين على الأعمال في هذه المؤسسة ، للتنسيق العلمي ، وتوزيع الأعمال وفق الخطة العامة المقررة ، وهي مسؤوليتهم ولهم حق إدخال التعديلات التي يرونها في ضوء الممارسة أو تغير الظروف الداعية لذلك وتنظم اجتماعات دورية للمكتب على فترات مناسبة لالتزيد عن سنة ولا تقل عن ثلاثة شهور توفيراً لوقت أعضائه وجهدهم .

نودّ لو تبنت هذا العمل إحدى الدول العربية أو الإسلامية أو مكتب التربية العربي لدول الخليج نفسه ، وأن تكون له صفة رسمية أو شبه رسمية حتى يتم التعاون في يسر داخل شبكته الواسعة من العلماء والخبراء في كل التخصصات من كل دول العالم العربي والإسلامي . وأن يكون له ميزانية مستقلة ، وجهاز إداري قائم بذاته ، ومقر مناسب .

ثانياً : إن مواضع الإفادة من الحضارة الحديثة ليست قاصرة على التجهيزات العلمية والتقنية التي توصل إليها أهل هذه الحضارة وصانعوها ، وينبغي حصر كل هذه المواضع ومطائنها في دولهم ومؤسساتهم وجامعاتهم وما إلى ذلك وتوفير أهم المعلومات التفصيلية عنها لتكون تحت نظر « مكتب العلماء » في وضع الخطة العامة ، وتحديد الأولويات والتنسيق بين الأعمال والنتائج في أوقاتها المحسوبة في الخطة . وأذكر منها على سبيل التمثيل لا الحصر بعض نقاط الإمكان أو مواضع الإفادة :

- ١ — فن الإدارة النظري والعملي في المجالات العملية والعلمية في بلادهم المتقدمة فهم أهل تفوق ملحوظ في ذلك .
- ٢ — العلوم التطبيقية .
- ٣ — فن الإعلام ووسائله وإمكاناته المتطورة وإدارته .
- ٤ — فن تخطيط المدن ، وحركة المرور وحل أزمة الإسكان .



- ٥ — شبكات الخدمات : إضاءة ، مياه شرب . صرف صحي . مواصلات ... الخ .
- ٦ — الاستخدامات النووية المدنية .
- ٧ — مشكلة الطاقة وتنوع مصادرها مع مراعاة الفوارق البيئية .
- ٨ — المستشفيات والصيدلة .
- ٩ — مناهج التعليم والتربية مع مراعاة تعاليم الإسلام ومنهاجه .
- ١٠ — التأمين الاجتماعي .
- ١١ — الصناعات الخفيفة والثقيلة .
- ١٢ — الانتاج الزراعي والحيواني والأمن الغذائي .
- ١٣ — محاربة التلوث .
- ١٤ — رعاية الطفل والأم والأسرة .

ثالثاً : وأما نقاط الاستحالة فأذكر أهمها :

النظم الحياتية ذات الصلة الوثيقة بالعقائد الدينية كالنظام الاقتصادي والمالي الذي يعتمد الربا أو سعر الفائدة أساساً في معاملاته ، والنظام الديمقراطي بمفهومه عن سلطة الشعب المطلقة في التشريع وأخذه بمبدأ الحرية الشخصية دون قيد من الدين أو المبادئ الخلقية التي يقوم عليها الإسلام ، والنظام الاجتماعي الذي يقضي الدين عن الحياة ، والنظام التعليمي وبرامجه التي تعتمد فكرة العلمانية أساساً لها .

وهذا لا يمنع من دراسة ما عندهم من كل هذه النظم ، فبرغم أن الإسلام بأصوله وقيمه وعقيدته ومقاصده تصطدم بالأسس التي تقوم عليها هذه الأنظمة ، فإن مجال الفائدة — فيما أحسب — لازال قائماً في بعض الجوانب من كل هذه الأنظمة ، وربما أفاد ذلك في معاونتنا على بنائها على أساس من ديننا بناء متطوراً ، فلا شك أنهم توصلوا بأنظمتهم هذه على ما بها مما يخالف ديننا ، ويتفق مع طبيعة حياتهم ، وظروفهم وعقائدهم ، وفلسفاتهم ، ونظرياتهم ، إلى استقرار سياسي وإلى صيانة الحقوق الأساسية والحرريات لمواطنيهم بصورة يحسدون عليها ونفتقدها في بلادنا ، وكذلك الأمر بالنسبة للرخاء الاقتصادي والاستقرار المالي النسبيين في بلادهم وهما أيضاً غائبان عن أكثر بلادنا .

رابعاً : أما عن هذه الأنظمة الحيوية التي تصدر عن مبادئ الإسلام وروحه وأصوله الكلية ومقاصده فذلك أمر يوكل هو الآخر إلى علماء متخصصين من دول العالم العربي والإسلامي ، ويتبعون كذلك مكتب العلماء ، ويعكفون على صياغة هذه الأنظمة وابتكار صورها التي تحقق أهدافها في بيئاتها العربية والإسلامية وتحقق ما استجد من متغيرات العصر ومن حاجات الإنسان المعاصر .

## الهوامش

- (١) من رسالة المؤتمر الخامس للأستاذ « حسن البنا » ١٩٣٨ م .
- (٢) من الخطاب الذي وجهته الجماعة إلى رئيس الحكومة .
- (٣) الإخوان المسلمون — أحداث صنعت التاريخ — جزء أول ص ٣٢٦ للأستاذ « محمود عبد الحليم » .
- (٤) كان هذا القاضي قد أصدر أحكاماً قاسية ضد أشخاص ضبطوا في الإسكندرية أمام نادي الجيش الإنجليزي ومعه قنبلة لم تفجر ومن نوع مخالف للنوع الذي ألقى عليه أثناء حفل أقيم فيه ، في الوقت نفسه الذي حكم فيه على قناوي سفاح الإسكندرية الذي ارتكب جرائم قتل وهتك عرض في سبع سنوات .
- (٥) « جمال عبد الناصر » ص ١٩٤ — أحمد أبو الفتح .
- (٦) نقلت في هذا الباب عن العقائد للإمام « حسن البنا » .
- (٧) ارجع فيه إلى « مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي .. نظام الحكم في الإسلام » الإمام « حسن البنا » .
- (٨) من رسالة بين أمس واليوم للإمام حسن البنا .
- (٩) مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي للأستاذ « حسن البنا » .
- (١٠) دعوتنا في طور جديد للإمام « حسن البنا » .

